الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

Faculty:		أصول الدين	كلية:
Departement:		جذع مشترك	قسم:

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

☑ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	☑ السداسي:
Academic Pedagogical Publication Addressed to: سنة أولى جذع مشترك	Semester:

Domain:		العقيدة الإسلامية	☑ الميدان:
Field or subfield:			☑ الشعبة:
Specialization:		العقيدة	☑ التخصص:
Submitted by:		عمار طسطاس	إعداد الأستاذ(ة):

Submitted by: ---------- اعداد الأستاذ(ة): عمار طسطاس

السنة الجامعية (Current Academic Year):

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الأولى جذع مشترك

مذكرة في العقيدة الإسلامية

إعداد: الدكتور عمار طسطاس.

المحور الأول

مدخل عام إلى دراسة العقيدة الإسلامية

أولا/ تحديد المفاهيم:

1- مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح.

2- مفهوم الإيمان في اللغة والشرع.

3- مفهوم الإسلام في اللغة والشرع.

4- مفهوم الدين في اللغة والشرع والاصطلاح.

5- الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة.

6-خريطة العقائد الدينية في العالم المعاصر.

7-ظاهرة الإلحاد في العصر الحديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحور الأول:

مدخل عام إلى دراسة العقيدة الإسلامية

أولا: تحديد المفاهيم:

1- مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح:

تتردد كلمة أعتقد، ونعتقد، وفي اعتقادي على ألسنة الناس – مراراً – أثناء أحاديثهم اليومية حين يعبرون عن آرائهم الراسخة، وقناعاتهم الثابتة بشأن مواقفهم من مختلف قضايا الحياة.

وأما لفظ (العقيدة) – كاسم – فلم يرد في القرآن الكريم، ولم يعثر له على أثر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فلا يعتبر من الألفاظ الشرعية، كالإيمان، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، وغيرها(1).

غير أن مادة (ع ق د) عربي مذكور في أشهر معاجم اللغة العربية: كمعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور وغيرهما قديما وحديثا.

وبالرغم من نزول القرآن متضمنا في بعض آياته مشتقات مادة (ع ق د)، ولكن ليس من بينها العقيدة كاسم.

أ- معنى العقيدة لغة:

قال ابن فارس: «عقد: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدٍّ وشدَّةٍ وثوقٍ، وإليه ترجع فروع الباب كلها. من ذلك: عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود... وعقدت الحبل أعقده عقداً، وقد انعقد وتلك هي العقدة.. وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد والجمع عقود اليمين...»(2).

وجاءت في لسان العرب: «وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه. والعقد في البيع: إيجابه.. وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه. واعتقد الشيء: صلب، واعتقد الإخاء: ثبت...»(3).

يتضح من خلال البيان اللغوي لمادة (ع ق د) أن مدارها يتعلق أساسا بالارتباط الوثيق بين طرفين والالتزام القوي بينهما:

- إما حسيّـًا، مثل: عقد الحبل، وعقد البناء...إلخ.
- وإما معنويا، مثل: عقد البيع، وعقد قلبه، واعتقد الإخاء...إلخ.

وإلى المعنى الأخير ذهب القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴾(4)، والعقود هي أوثق العهود.

---

(1) عثمان عبد القادر الصافي – الإيمان تعريف ومتفرقات: 10.

(2) ابن فارس – معجم مقاييس اللغة: 86/4 وما بعدها.

(3) ابن منظور – لسان العرب: 296/3 وما بعدها.

(4) سورة المائدة: الآية 1.

وفي قوله عز وجل: ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾(5) ويكون (تعقيد) الأيْمَان حين يقسم الإنسان بقصد القلب وعزمه، عكس لغو الأيمان الذي يتردد على اللسان عفويا من دون انتباه أو قصد.

فيلزمنا سبحانه بالوفاء بالأول، ويتجاوز عنا في النوع الثاني لطفا بنا ورحمة.

ب- معنى العقيدة في الاصطلاح:

ثم ظهر لفظ (العقيدة) كاسم لاحقا في تاريخ العلوم الإسلامية للدلالة على أصول الدين أو أركان الإيمان في الإسلام.

وعلى ضوء ما استقر للمعتقد من معنى - بين أهل العلم - وغيرهم يمكن تعريف العقيدة اصطلاحاً بأنها: «تلك المجموعة من الأحكام التي يصدق بها الإنسان تصديقا جازما، حتى تتوثق منه في الأعماق، ويحملها قناعات توجه مفاهيمه، وتحدد تصوره للأمور، لدرجة تتحكم معها في سلوكه وتقرر نسق حياته، بل تسري في مشاعره، وتتجلى في ذوقه ومزاجه»(6).

وهذا التعريف الاصطلاحي يصدق على كل العقائد التي يتحمل أحكامها الإنسان في حياته، بغض النظر عن صحتها أو بطلانها، فيحصل ذلك مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، كما يحصل مع العقائد الباطلة: من يهودية، ونصرانية، أو مادية إلحادية، سواء بسواء.

بيد أن المفهوم الاصطلاحي للعقيدة في الإسلام يجعلها تقابل مفهوم الشريعة فيه. إذ تتألف بنية الإسلام من أحكام العقيدة وأحكام الشريعة.

فتتعلق أحكام العقيدة بالأمور (العلمية) التي يتحملها المؤمن اعتقادا في القلب، بالإضافة إلى تحمله تكاليف الشريعة المتعلقة بالأمور (العملية)، التي نص عليها الوحي كتابا وسنة، في أبواب العبادات، والمعاملات، والأخلاق(7).

---

(5) سورة المائدة: الآية 89.

(6) عثمان عبد القادر الصافي - الإيمان تعريف ومتفرقات: 15.

(7) انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي - كبرى اليقينيات الكونية:ص70ما بعدها. ود. عبد المجيد النجار - فقه التدين فهما وتنزيلا، الجزء الثاني:85 وما بعدها.

2- مفهوم الإيمان في اللغة والشرع:

يعد لفظ (الإيمان) من الألفاظ الشرعية التي خض الوحي بها – قرآنا وسنة – ما يجب الإيمان به من تكاليف عقدية علمية يتحملها المؤمن الذي يدين بدين الإسلام. فما مدلول هذه الكلمة في اللغة والشرع؟

أ- معنى الإيمان في اللغة:

قال ابن فارس: «أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان..»(8).

ب- معنى الإيمان شرعاً:

أ- الإيمان بمعنى التصديق: لقد ورد الإيمان في القرآن بمعنى "التصديق" – وهو عين المعنى اللغوي ذاته – كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾(9) فكلمة (بمؤمن في الآية) تعني بِمُصَدِّقٍ.

ب- الإيمان بمعنى اليقين: وورد الإيمان بمعنى "اليقين" القائم على الدليل كما في قوله عز وجل: ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾(10)، بمعنى أن إيمانهم بالآخرة قد بلغ درجة "اليقين" الجازم.

جـ- الإيمان بمعنى القول: ويأتي الإيمان في القرآن بمعنى الإعلان عنه قولا. كما في قوله تعالى: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾(11).

د- الإيمان بمعنى العمل: وقد جاء الإيمان بمعنى "العمل" في القرآن والسنة:

– في القرآن، قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾(12)، فكلمة (إيمانكم) في الآية بمعنى عملكم في الصلاة التي كانت إلى بيت المقدس أولى القبلتين كما جاء في أسباب نزول الآية.

– وفي السنة، قوله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقاً»(13) وتعني كلمة (خلقا) في الحديث العمل تحديداً.

وبالاستناد إلى معاني اللغة والشرع، أجمع أكثر علماء الأمة على تعريف الإيمان، أمثال: الإمام مالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، وإسحق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: بأنه، أي: [«الإيمان: اعتقاد بالجَنَانِ، وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ»](14).

---

(8) ابن فارس – معجم مقاييس اللغة: 133/1 وما بعدها.

(9) سورة يوسف: الآية 17.

(10) سورة البقرة: الآية 4.

(11) سورة البقرة: الآية 136.

(12) سورة البقرة: الآية 143.

(13) أخرجه أحمد في المكثرين، وابن حبان في صحيحه، 277/2، والحاكم في المستدرك، ك/ الإيمان، 43/1، قال: وهو صحيح على شرط مسلم.

(14) انظر: الإمام اللالكائي – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 911/4، 933. 955/5، 959.

وبناء على ما سبق من تحديد مفاهيم العقيدة والإيمان في اللغة، والاصطلاح، والشرع، نقرر حقيقة، وهي أن العقيدة الإسلامية يراد بها – هنا – الإيمان في مسائله ودلائله كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة.

أو هي أركان الإيمان، أو أركان العقيدة الإسلامية كما نطقت بها نصوص الشرع وحددت ما يجب الإيمان به، وما دل على ذلك من أدلة فطرية وحسية ونقلية وعقلية على ثبوت حقائق الإيمان ثبوتا قاطعا لا ريب فيه.

ومن هذا، قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(15).

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جبريل المشهور لما سئل عن الإيمان، قال: «فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنَ بالقدر خيره وشره...»(16).

3– مفهوم الإسلام في اللغة والشرع:

أ– معنى الإسلام في اللغة:

قال الراغب: «والإسلام: الدخول في السلم..»(17)، ومنه إذا راجعت معاجم اللغة العربية ألفيت أن كلمة الإسلام تعني: «الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض»(18).

ولذلك يعد الدين الإسلامي طاعة لله وانقياداً لأوامره ونواهيه بلا اعتراض.

ب– معنى الإسلام في الشرع:

لقد جاء تفسير الإسلام في حديث جبريل بما يجب الانقياد له وطاعة الله تعالى فيه، قوله عليه الصلاة والسلام: «وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»(19)

ومن ثم اعتبر المسلم هو من أخلص دينه لله انقياداً وطاعة وتسليما بلا اعتراض على جميع أحكام الدين الاعتقادية العلمية، والتعبدية السلوكية العملية(20).

---

(15) سورة البقرة: الآية 285.

(16) أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم ك/ الإيمان ب/ الإيمان ما هو وبيان خصاله.

(17) الراغب الأصفهاني – مفردات ألفاظ القرآن، مادة سلم: 423.

(18) أبو الأعلى المودودي – مبادئ الإسلام: 4.

(19) حديث جبريل سبق تخريجه.

(20) د. وميض العمري – فقه الإيمان: 35.

ولا يقبل الله تعالى من الإيمان دينا غير الإسلام باعتباره الدين الحق الكامل الذي لا تتحقق الطاعة التامة والانقياد الكلي إلا من خلاله، قال الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(21).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾(22)، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(23).

ويعتبر الإسلام دين الأنبياء والرسل جميعا. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(24).

4- مفهوم الدين في اللغة والاصطلاح والشرع:

أ- معنى الدين في اللغة:

تستعمل كلمة (دين) في كلام العرب بمعان شتى، قال ابن فارس: «مادة (دين): الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس واحد الانقياد والذل»(25)، ومن هنا فالدين لغة من دان يدين، ويكون لازما كما يكون متعديا باللام والياء. وتعود معان كلمة دين إلى ثلاثة أفعال كالآتي:

1- الدين بمعنى الملك والتصرف: «فإذا قلنا: «دانه دينا» عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه وكافأه... ومن ذلك: «مالك يوم الدين﴾ أي يوم المحاسبة والجزاء...

2- الدين بمعنى الخضوع والطاعة: «وإذا قلنا: "دان له" أردنا أنه أطاعه، وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع. وكلمة «الدين لله» يصح أن يفهم منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله. وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له. «دانه فدان له» أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

3- الدين بمعنى المذهب والطريقة والمنهج: «وإذا قلنا: «دان بالشيء» كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا أو عمليا...

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف به الطرف الأول كانت خضوعا وانقياداً، وإذا وصف به الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها»(26).

---

(21) سورة المائدة: الآية 3.

(22) سورة آل عمران: الآية 19.

(23) سورة آل عمران: الآية 85.

(24) سورة آل عمران: الآية 67.

(25) ابن فارس – معجم مقاييس اللغة: 319/2.

(26) د. محمد عبد الله دراز – الدين: 25، 26، 27.

ب- معنى الدين في الشرع:

شمل إطلاق لفظ «الدين» في القرآن الكريم كلا من الدين الوثني الذي يقوم على الاعتقادات الخرافية وعبادة الأصنام حين سمى دين قريش الوثني في قوله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(27)، وهذا معنى عام لأي دين محرف أو وثني في مقابل الدين الحق.

وسمي ما عليه أهل الكتاب من يهود ونصارى بالدين أيضا، جاء في قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾(28).

كما عبر عن الإسلام بالدين الحق. قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾(29) ورسوله في الآية هو محمد بن عبد الله الهاشمي صلى الله عليه وسلم.

جـ- معنى الدين اصطلاحا:

وطبقا للمعاني اللغوية والشرعية عرَّف العلماء المسلمون الدين: بأنه «وضع إليه سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل»(30).

أو بعبارة أخرى: «الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»(31).

ومن هنا فالدين الحق مصدره الله عز وجل، وليس من إيحاء خيال الإنسان أو صنع المجتمع، بل التاريخ البشري قد شهد الهداية الربانية مع أبي البشرية آدم عليه السلام مرورا بجميع الأنبياء والرسل في مختلف أدوار التاريخ إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك مصداقا لوعد الله عز وجل لآدم وذريته قبل سكناهم الأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(32).

وبناء على ما سبق تحديده من مفاهيم مصطلحات: العقيدة، والإيمان، والإسلام، والدين، يتضح مدلول كل مفهوم على حدة، إلى جانب ارتباطه بغيره ارتباطا وثيقا لا تنفصم عراه في منظور الدين في الإسلام باعتباره عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

5- الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة:

---

(27) سورة الكافرون: الآية 6.

(28) سورة المائدة: الآية 77.

(29) سورة الفتح: الآية 28.

(30) محمد عبد الله دراز – الدين: 29.

(31) محمد عبد الله دراز – الدين: 29.

(32) سورة البقرة: الآيتان 38، 39.

عرفنا معنى العقيدة والإيمان في اللغة والاصطلاح الشرعي، غير أنه من الواجب أن نعطي لمحة وجيزة عن علم العقيدة أو علم الإيمان الذي يَتَّخِذُ من العقيدة الإسلامية أو أركان الإيمان موضوع بحث له.

ولكي يتضح الفرق الجوهري بين العقيدة وعلم العقيدة يمكن تقرير الآتي:

– العقيدة: هي تعاليم جاء بها الوحي تتصف بأنها تعاليم محددة لا تزيد ولا تنقص، وليس لأحد أن يتصرف فيها بإضافة إليها أو حذف منها من اجتهاده العقلي.

– وعلم العقيدة هو ما نشأ متعلقا بالعقيدة من مباحث تشرح مفرداتها، وتستدل عليها لإثباتها، وتدافع عنها برد المطاعن والشبه الواردة عليها لتحريفها أو تشويهها أو نقضها، فجملة تلك المباحث التي تراكمت عبر الزمن هو ما يطلق عليه اسم "علم العقيدة".

1– موضوع العقيدة الإسلامية:

يمكن إيجاز مواضيع العقيدة الإسلامية في الآتي:

أ– في موضوع "الإيمان بالله" وأدلته، ومعرفة أسماء الله وصفاته وأدلتها، ووحدانيته عز وجل.

ب– في موضوع "الإيمان بالملائكة" وصفاتهم، وما يقومون به من أعمال، وصلتهم بالكون والإنسان في الدنيا والآخرة، وصلتهم بالباري عز وجل.

جـ– في موضوع "الإيمان برسل الله"، ومعرفة ما يجب لهم من حقوق، وما يتصفون به من صفات: كالصدق والأمانة، وما لا يجوز في حقهم كالكذب والخيانة، وكذلك معرفة معجزاتهم، وبينات رسالاتهم وخاصة بينات ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم.

د– في موضوع "الإيمان بالكتب الإلهية" التي أنزلها الله هداية لعباده عبر التاريخ البشري الطويل، وبيان ما طرأ على الكتب السابقة من تحريف وتبديل، وبيان حفظ الله للقرآن من كل تحريف وتبديل وهيمنة على ما سبق من الكتب.

هـ– في موضوع "الإيمان باليوم الآخر" وأدلته وما أعد الله فيه من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين.

و– في موضوع الإيمان بالقدر، خيره وشره الذي يسير عليه كل ما في الكون، وما يتضمنه من مشيئة وكتابة وخلق. ونستند في تحديد موضوعات العقيدة وأركان الإيمان في الإسلام إلى الكتاب والسنة. قال عز وجل عن أركان الإيمان في القرآن: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(33).

ولقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: «الإيمانُ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»34.

2– موضوع علم العقيدة:

وأما موضوع علم العقيدة الذي يشمل مواضيع العقيدة بالبحث والدراسة إثباتا لحقائق الإيمان وردا للشبهات الواردة على أركانه في أي زمان أو مكان باعتماد الأدلة اليقينية النقلية والعقلية والحية التي تحق الحق وتبطل الباطل. ويضاف إلى أن هذا العلم يعنى بـ :

---

(33) سورة البقرة: الآية 285.

34 متفق عليه.

أ- يبحث موضوع "العبودية" لله، وإخلاصها له، وبيان ما ينافيها، وأنها الغاية من خلق الجن والإنس.

ب- والبحث كذلك في الأقوال التي يتحقق بها الإيمان ويزداد، والأقوال التي تعارض الإيمان أو تناقضه.

جـ- ويبحث في الرد على شبهات الكافرين والمبطلين.

د- الرد على الفرق الكلامية المنحرفة، وصيانة الإيمان من تحريفاتها وتأويلاتها الباطلة.

3- المراحل التي مر بها علم العقيدة:

لقد مر علم العقيدة بعدة أدوار أو مراحل في تاريخ الحضارة الإسلامية:

★ **الدور الأول:** ويمكن تسميته "بالدور القرآني" الذي يعرض قضايا الإيمان على الإنسان مباشرة، ويوجه نظره إلى آيات الله المبثوثة في الآفاق والأنفس كأدلة وبراهين قاطعة على ما يدعوه إليه من حق ساطع لا غبار عليه، وفي ها الدور وجد الجيل الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جيل الصحابة الذي قال عز وجل في حقه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾(35).

★ **الدور الثاني:** "دور الفلسفة والجدل" وهذا الدور يأتي تاريخيا بعد القرن الثاني الهجري وفيه توسع المسلمون عبر الفتوحات بالاتصال بالحضارات والثقافات والديانات على اختلافها فحصل الجدال بينهم وبين هذه الأقوام الداخلة في الإسلام، كما ترجمت الفلسفة اليونانية إلى لغة العرب، فاقتبس الفلاسفة العرب وعلماء الكلام والفرق مناهج ومفاهيم الثقافات الأخرى وصبوا قضايا العقيدة الإسلامية في قوالبها المنطقية وأقيستها، فصارت عقيدة التوحيد الغضة البسيطة الواضحة عقيدة جدلية معقدة، ونتج عن ذلك أن انقسم المفكرون والعلماء، ثم الأمة ثانيا إلى شيع وفرق وأحزاب.

★ **الدور الثالث:** "دور التقليد"، ويأتي عقب فتور الهمم وخفوت ضوء العلم وميل الحضارة الإسلامية إلى الجمود والسقوط بعد انهيار الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار، وازدادت على إثر ذلك أوضاع الأمة سوءا إلى تمزق فكري وسياسي وتقوقع في فرق وطوائف ودويلات. صار معه المسلمون يأخذون بالتقليد في العقائد وفي كل شأن من شؤون حياتهم، رغم أن الإسلام يكره لأهله التقليد، ولقد أدى التقليد إلى السقوط الحضاري العام للأمة، حتى تجد الناس يخلطون الحق بالباطل، والصالح بالطالح دون قدرة على التمحيص.

★ **الدور الرابع:** "الدور القرآني من جديد"

وذلك بالعودة إلى أخذ الإيمان والعقيدة الإسلامية من النبع الصافي من الكتاب والسنة، وتخليصه من دخن أدوار التيه الفلسفي والكلامي والتقليد الجاهل، وذلك من أجل دورة حضارية إسلامية جديدة تُبعث فيها شخصية الفرد المسلم والأمة المسلمة على نور عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها للفكر والعلم والحياة، باعتبار أن الإسلام في حقيقته عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

---

(35) سورة آل عمران: الآية 110.

6–خريطة العقائد الدينية في العالم المعاصر :

6–1–العقائد الوثنية الشركية :

تنتشر العقائد الوثنية جغرافيا منذ القديم –والى اليوم–في منطقة جنوب شرق آسيا ،الهند والصين واليابان وكوريا والفليبين وتايلاندا...الخ وتعتبر هذه المنطقة من أكثر مناطق العالم اكتضاضا بالسكان ومعظمهم يدينون بالأديان الوثنية كالهندوسية في الهند وما جاورها والبوذية في الصين واليابان وما جاورها .ويمثلون أكثر من نصف سكان المعمورة ،وعقيدتهم الوثنية تنجلي في التصورات الآتية :

*البوذية والهندوسية :تذيب الدنيا في الله وترفض الاعتراف بأية حقيقة سوى الله.ففي هذا الاعتقاد ،لا حقيقة ولا وجود ولاكيان إلا الله وحده ،وأن العالم المخلوق –السموات والأرض– وكل ما فيه لا وجود ولا حقيقة له إطلاقا.إنما هو خيال عابر .

ولهذا تنتشر فيهم عبادة مظاهر الطبيعة كلها تقريبا فكل شيئا في هذا الكون يمكن عبادته نوفي المظاهر المشهورة في المعبودات لديهم عبادة الأبقار والفئران والأحجار والأشجار والأنهار...الخ

وعلى العقيدة نفسها كان المصريون والإغريق القدماء والطاوية الصينية –الذين أذابوا الله سبحانه وتعالى عما يصفون في مخلوقاته في الطبيعة ،فقال المصريون أن الله هو فرعون للحمه ودمه أو البنات الأخضر أو النبيل بمائه أو الشمس بحرارتها وضوئها .أو مجموع المخلوقات 36.وتعرف هذه العقائد بعقائد الحلول والاتحاد.....

6–2 عقائد أهل الكتاب :

نقصد بعقائد أهل الكتاب عقائد اليهود والنصارى –اليوم– فاليهودية والمسيحية ديانتان أصولهما سماوية كتابية قد انحرف بهما أتباعهما إلى الوثنية 37.

أ–العقيدة اليهودية :لقد مالوا إلى الوثنية في عقيدتهم فعبدوا عجل سماوي وموسى عليه السلام بين ظهرانيهم يدعوهم إلى توحيد الله تعالى :« »38

« وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ»39

وكتبهم تسجل عليهم هذا الانحراف العقدي وكذلك القرآن الكريم.

لقد بدلوا التوراة التي أنزل الله على موسى ،وبمرور الزمان كتبوا يديهم كتبا كثير أسموها "العهد القديم " وضمنوها وثنيات الديانات الوثنية السابقة وما أوحته لهم أهواؤهم 40.

36–إسماعيل راجي القاروفي ،جوهر الحضارة الإسلامية ،مجلة المسلم المعاصر ،عدد:27.

37– محمد عبد الله الشرقاوي ،الإيمان حقيقته وأثره :9.

38– سورة الآية :

39– سورة التوبة ،الآية :30.

40–أنظر للفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا ،رسالة في اللاهوت والسياسة.

ب–العقيدة المسيحية :وكذلك ابتعدت المسيحية المحرفة –اليوم– في عقائدها عن عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم الذي انزل الله عليه كتابه "الإنجيل"إن الكتاب الذي انزله الله على عيسى قد بدل وحرف وغير في عقائده كما حصل للتوراة.

حيث وضع النصارى بعد قرون وفاة المسيح عليه السلام أناجيل نسبوها زورا وبهتانا إليه بلغ عددها مائتين من الأناجيل المزورة ،واختارت الكنيسة في مجامعها المسكونية الأناجيل الأربعة :إنجيل ،يوحنا ،وإنجيل متى ،وإنجيل لوقا ،وإنجيل مرقص ،وتعرف في مجموعها .

بـ"العهد القديم "وبضم أسفار التوراة الحالية إلى أسفار الأربعة أجيال يطلق عليها جميعا اسم "الكتاب المقدس ".والعقيدة المعروفة بين المسيحيين اليوم عقيدة وثنية بأتم معنى الكلمة كما عرفتها عقائد قدماء المصريين واليونان والرومان والهندوس والصينيين وغيرهم.

وقد قال القرآن على انحراف المسيحيين في عقيدتهم عن التوحيد بعد عيسى عليه السلام :« وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ»41،«وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ»42.

ولذلك قد ابتعدت المسيحية كل البعد عن التوحيد عندما ادعت أن الله حل في جسم بشر وتجسم فيه فأصبح المخلوق خالقا.

6–3–عقيدة التوحيد في الإسلام :

تختلف عقيدة التوحيد اختلافا جوهريا مع المذاهب والديانات الوثنية في القديم والحديث" –وفي المستقبل كذلك– إذ اعتبر الإسلام أن الله الواحد الأحد هو الخالق المعبود بحق ،وأن العالم مخلوق للباري تعالى .

وان الله عز وجل له الأسماء وصفات الكمال والجلال ويتفرد بذلك لا شريك له وهو رب كل شيء ولا رب غيره نواله كل شيء ولا اله سواه منزه عن كل نقص ،لم يلد ولم يولد ،ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،هو الصمد الذي لا يحتاج إلى شيء فهو الغني ،والخليقة مفتقرة الله في وجودها واستمرارها وفنائها.

والله تعالى مباين للخليقة في ذاته وأفعاله ،ولهذا فهو منفصل عنها انفصالا تاما كونيا ووجوديا ،فلا الخالق يتحد أو يتصل وجوديا أو يحل أو يتجسد في المخلوق ،ولا للمخلوق أن يتحد أ ويتصل وجوديا في الخالق أو يرتقي بنفسه إلى هوتية الخالق 43.

وبهذا المعنى يخالف التوحيد في الإسلام وفي كل عقائد الأنبياء والمرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم جميع مؤهلي البشر ومجسمي الإله من إغريق ومصريين وصينيين وهندوس وبوذيين ويهود ومسيحيين.

7–ظاهرة الإلحاد وفي العصر الحديث :

7–1–ظاهرة الإلحاد :إن الإلحاد الذي ينتشر اليوم في أوربا شرقها وغربها ،ويتبجح بإنكار وجود الله وينفي أن الله سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت وأنه خالق الكون ومدبره ،ظاهرة لا مثيل لها في تاريخ البشرية من قبل ،من حيث سعة انتشارها ،وتأثيرها في حياة الناس وأفكارهم وتصوراتهم وما أحدثته من تحلل وفساد خلقي .

41–سورة التوبة ،الآية :30

42–سورة المائدة ،الآية :116

43– إسماعيل راجي القاروفي ،جوهر الحضارة الإسلامية ،مجلة المسلم المعاصر ،عدد:27: 11.

وقد كان الناس في العصور السابقة يعتقدون اعتقادا حازما بوجود خالق مدبر للكون ،حتى ظهر في القرن الثامن عشرا أول كتاب يصرح بالإلحاد سنة 1770م،وفي بريطانيا سنة 1782م.[44]وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهر الإلحاد وإنكار وجود الخالق كاتجاه فلسفي بارز في كارل ماركس وفريديريك أنجلز في فلسفة المادية الجدلية التي تنكر الغيب إنكارا كاملا.

كما ندعم هذا الإتجاه المادي الإلحادي بعد ظهور نظرية التطور وتفسير ظهور الحياة والكائنات تفسيرا يستبعد الخالق تعالى بعد ظهور كتاب "أصل الأنواع"لتشارلز دارون عام 1875م.

وقد عرف الإلحاد التطبيق الدعائي له والقسري في شكل دولة الاتحاد السوفياتي ما يقرب من 70 سنة منذ انتصار الثورة البلشفية في روسيا على القيصر سنة 1917 إلى غاية تفكك الإمبراطورية الشيوعية في بداية التسعينات من القرن العشرين.

7-2-أسباب ظاهرة الإلحاد :

تعود أسباب ظهور الإلحاد وانتشاره في الغرب في العصر الحديث وانتقاله بالتقليد والغلبة إلى مناطق أخرى من العالم إلى جملة من الأسباب أهمها :

أ-فساد الدين المسيحي :

لقد عرفت أوربا المسيحية فير شكلها المحرف وزادته الكنيسة الأوربية بعد مناصف القرن الرابع الميلادي انحرافا على انحراف مما كان للدين المسيحي الأثر السيئ على الحياة الروحية والعقلية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات الأوربية ما يقرب من ألف سنة من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر أو بداية عصر النهضة ،ويسمي الأوربيين هذه القرون العشرة بالعصور المظلمة في كل شيء كما تعرف بالعصور الوسطى.

ب-الاحتكاك بالمسلمين:

ومع بداية و عصر النهضة واحتكاك الأوربيين بالمسلمين عبر البعثات العلمية في الأندلس وصقلية والحروب الصليبية تعرفوا على تخلفهم في جميع الميادين وبدءوا يقتبسون في الحضارة الإسلامية العلوم والمعارف والمناهج العلمية والفكرية ،فاصطدموا بتحجر الفكر الكنيسي وبعقائد الكنيسة الجزافية الوثنية ودب الصراع بين الفريق العلماء ورجال الدين في أوربا ،واستحكم العداء بين الدين والعلم بعد اضطهاد العلماء الذين كانوا يخالفون عقائد الكنيسة في الكونيات أمثال غاليلي وكوبرنيكوس وغيرها.

ومع مرور الوقت وتطور المعرفة والعلم اكتشف الأوربيون التناقض الشديد بين دعاوي الدين الذين ورثوه والعلم التجريبي الذي اكتشفوه. والأمثلة على ذلك كثيرة-تجدها في كتاب العالم الفرنسي "موريس بوكلاي ".

الذي صدر عام 1978م.بعنوان "الكتاب المقدس والقرآن والعلم"«la bible ,le coran,et la science».

ج-طغيان الكنيسية ورجال الدين :

تجلى طغيان الكنيسة ورجال الدين طيلة ألف سنة في أوربا في المجالات الآتية[45].

-فرضت على الناس الوساطة بين الناس وبين الله.فلا يملك الإنسان أن يتصل بربه إلا عن طريق الكاهن.

44- جعفر شيخ إدريس ،الفيزياء ووجود الخالق :19.

45-محمد قطب ،ركائز الإيمان :146 وما بعدها.

-فرضت عليهم أفكارا معينة عن تشكل الأرض وعمر الإنسان على سطح الأرض ،تخالف ما وصلت إليه حقائق العلم الثابتة.

-فرضت على الناس العشور ،أي أن يقدموا عشر مالهم هبة خالصة للكنيسة .

-فرضت عليهم السخرة ،أن يعملوا في فلاحة الأرض المملوكة للكنيسة يوما واحدا كل أسبوع بغير أجر.

-فرضت عليهم الخضوع المذل لرجال الدين ،كأن ينحني الإنسان عندما يمر به رجل الدين حتى يلامس وجهه أديم الأرض،ولو كانت الأرض مملوءة بالوحل والطين.

-تحالفت الكنيسة ومع رجال الإقطاع والاستبداد الملكي السياسي ضد الجماهير المقهورة وهددتهم بغضب الله إن هم ثاروا على ظلم الأسياد.

وكان لكل هذه الأسباب وغيرها من طغيان الكنيسة أثار بعيدة في تنفير الناس من الكنيسة ومعاداتها في العصر الحديث ،ومعاداة الدين حتى تم الفصل في نظام الدولة القومية في أوربا بين الدولة والكنيسة أوربية الدولة والدين ،وهو ما يعرف بالعلمانية في تاريخ الغرب.

د-تشويه الكنيسة للإسلام :

قامت الكنيسة في مطلع عصر النهضة بمحاربة الحركة العلمية في أوربا بفعل تأثير رواد بعثاتها العلمية إلى العالم الإسلامي بالروح الإسلامية ،فخشيت من انتشار الإسلام مع الحركة العلمية المستمدة من علوم المسلمين ،قامت بجملة واسعة لمحاربة هذا التأثير ،وجندت كتابها ضد الإسلام ويطعنوا في مصداقيته ،ويصور صورته النقية ،في عيون المسيحيين ويتهموا على رسول اله صلى الله عليه وسلم ويتقولوا عليه الأقاويل ويطعنون في القرآن والسنة والسيرة ويهولوا الأمر في كل ما له صلة بالإسلام حتى يحولوا بين أوروبا وبين اعتناقها للإسلام.

المحور الثاني

أركان الإيمان في الإسلام

1- الركن الأول/ الإيمان بالله تعالى.

2- الركن الثاني/ الإيمان بالملائكة.

3- الركن الثالث/ الإيمان بالكتب.

4- الركن الرابع/ الإيمان بالرسل.

5- الركن الخامس/ الإيمان باليوم الآخر.

6- الركن السادس/ الإيمان بالقضاء والقدر.

أركان الإيمان في الإسلام:

الركن الأول/ الإيمان بالله تعالى:

مقدمة:

★ أهمية الإيمان بالله والطريق إلى معرفته:

يعد الإيمان بالله أساس الإيمان في الإسلام، وهو أول واجب على الإنسان، وعليه يقوم الإيمان ببقية الأركان، إذ لا يصح إيمان أحد بشيء من أمور الإيمان وشُعَبه إلا بعد الإيمان بوجود الله ووحدانيته(46).

والقرآن كله حديث عن الإيمان بالله، ويدل على ذلك أنَّ ذِكْرَ الله قد تكرر في القرآن باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، (10062) مرة أي في الصفحة الواحدة قرابة عشرين مرة في المتوسط(47).

إننا نستطيع أن نقرر أن الإيمان بالله بالنسبة لبقية الأركان والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسوق والفروع، فهو أصل الأصول، وقاعدة الدين وأساسه في الإسلام، وكلما كان حظ الإنسان من الإيمان بالله عظيما كان حظه في الإسلام كبيراً.

وإذا تدبر الإنسان في خِلْقته سيجد أن الله تعالى الذي خلقه قد زود فطرته بوسائل يتعلم بها سائر العلوم الدينية والدنيوية، ومن دونها لا يمكنه أن يتعلم شيئا، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(48).

ولذلك أمرنا عز وجل أن نستخدم تلك الوسائل – من سمع وبصر وفؤاد – في العلم به، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾(49).

ويصل الإنسان إلى الإيمان الصحيح بتوظيفه وسائل المعرفة لديه في إدراك حقيقة العلم المنزل من الله تعالى على أنبيائه ورسله، قال تعالى:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾(50).

كما تمثل آيات الله المخلوقة في عالم الآفاق والأنفس طريقا إلى معرفة الله وقدرته سبحانه، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(51).

---

(46) انظر: عبد المجيد الزنداني – علم الإيمان: 52.

(47) انظر: د. عمر سليمان الأشقر – العقيدة في الله: 60 وما بعدها.

(48) سورة النحل: الآية 78.

(49) سورة محمد: الآية 19.

(50) سورة الرعد: الآية 19.

(51) سورة فصلت: الآية 53.

★ **مسائل الإيمان بالله:**

أولا/ الإيمان بوجود الله تعالى:

ثانيا/ التوحيد:

ثالثا/ نواقض التوحيد:

أولا/ الإيمان بوجود الله تعالى:

لقد دلت على وجود الله تعالى أدلة متنوعة يمكن إجمالها في الآتي:

1- الدليل الفطري.

2- الدليل الحسي.

3- الدليل العقلي.

4- الدليل الشرعي.

①- **الدليل الفطري:** الفطرة في اللغة، هي: الخِلْقَةُ الَّتِي يكونُ عليها الإنسان في أوَّل أمره.

ويعني الدليل الفطري الذي يدل على وجود الله تعالى: «"أن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم"(52)، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يُهوّدَانِه أو يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ورد في القرآن بشأن فطرة الإيمان لدى الإنسان، قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(53).

ولذلك فإن أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله "شعوره بوجود قوة كبرى"مهيمنة على الكون، – هي قوة الله تعالى – تمنح الخليقة التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت والبناء والفناء، والتغير، والسكون...إلخ.

إن الإنسان ليشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها إيمانا عميقا، سواء استطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور أو لم يستطع، فدليل الفطرة ودليل البداهة شاهد حق يسبق الشواهد النظرية وقد يسكون أدق منها وأصدق.

وقد أخبرنا الباري عز وجل في القرآن الكريم أنه فطر الإنسان على الإيمان، ويشمل ذلك بني آدم جميعا مؤمنهم وكافرهم على حد سواء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(54).

---

(52) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها : 96 وما بعدها .

(53) سورة الروم: الآية 30.

(54) سورة الأعراف: الآيتان 172، 173.

فالله قد أشهد المرء على نفسه أزلاً بهذه المعرفة الفطرية، ولا شك أن شهادة المرء على نفسه من أقوى أنواع الإقرار، لأن من شهد على نفسه بحق فقد أقر به.

وقول الخليقة: ﴿ بَلَى شَهِدْنَا ﴾، هو إقرارهم بربوبيته وأنه خالقهم، فهم حين خلقوا على الفطرة خلقوا مقرين بالخالق معترفين بوجوده شاهدين على أنفسهم بذلك. وهذا الإقرار هو حجة الله على الخليقة يوم القيامة، فهو يذكر لهم أخذه الميثاق عليهم وإشهادهم على أنفسهم بهذه المعرفة لا يمكن جحده.

ولهذا قال لهم سبحانه تذكيرا لهم بذلك الإقرار: ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ أي كراهة أن تحتجوا يوم القيامة بغفلتكم عن ذلك الإقرار، لأن هذا لم يغفل عنه بشر بل هو من الأمور الضرورية التي لم تخل منها نفس فطرها الله... فهذه الحجة – حجة الغفلة – مردودة على أصحابها يومذاك.

وأما الحجة الثانية المردودة عليهم كذلك، فهي احتجاجهم بشرك آبائهم ومتابعتهم إياهم في ذلك بقولهم: ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ فالمشركون هم آباؤنا فكيف تهلكنا وتعاقبنا بفعلهم؟

وأما الجواب الفصل فتبينه الفطرة السليمة لمن يحتج بما سبق من العادة والمتابعة للآباء خطأ هذا الاعتقاد وبطلان الاحتجاج به.

وهذه الفطرة السابقة على جميع ألوان التربية التي يتلقاها المرء عن بيئته في شتى المجتمعات. لأن فطرة الشيء هي طبيعته في أول خلقه، ومن ثَمَّةَ ففطرة الإنسان هي طبيعته الأولى التي يولد عليها وقبل أن تتبدل وتتغير[55].

عموم الفطرة وعلاماتها:

إن عموم الفطرة وتوحد علاماتها في الناس من الحقائق التي نلاحظها باستمرار، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- انسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتضاع ثدي أمه دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون أن يدركه بدليل عقلي أو حسي ظاهر.

ب- والأم تشعر بعاطفة الأمومة سواء علمت أن السر في ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادرا على الاستقلال بنفسه أو لم تعلم.

جـ- كما أننا جميعا مسوقون بإحساس الفطرة والغريزة إلى مطالب عيشنا، ولو لم ندرك الغرض من وراء هذا الإحساس.

د- وأننا نحس بالجوع فنأكل سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أو لم نعلم.

هـ- ونحس بالبرد فنتخذ الوقاية منه سواء عرفنا أن البرد من عوامل الهدم في بناء جسدنا أو لم نعرف.

و- ونشعر بوجود روح فينا، أو سر حياتنا، فندافع عنها ونحرص على بقائها، دون أن نحس بها بإحدى حواسنا الظاهرة، وقد لا يستطيع الكثير من الناس أن يقيم البرهان على وجودها، وعلى الرغم من ذلك فهو يشعر بها ويعتقد بوجودها.

ثم أليس الناس جميعا يشعرون في داخلهم بالعواطف والوجدانيات من فرح وحزن، وكراهية وغضب، ولذة وألم...إلخ.

فما الدليل على وجود هذه العواطف والوجدانيات فينا، وهي متغلغلة في أعماقنا؟! هل نستطيع أن نقيم عليها دليلا أكثر من أننا نشعر بها؟ وهي حق لا شك فيه.

---

55 د.فاروق أحمد دسوقي –محاضرات في العقيدة الإسلامية: 25 وما بعدها .

– إننا نقول: إن الشعور بهذه الحقائق دليل على وجودها.

★ الشعور الفطري بوجود الخالق:

ومما لا شك فيه أن هذه الفطرة وهذه الإحساسات العميقة فينا لم توجد فينا عبثا، ل هي فطرة صادقة موافقة للواقع الكوني، وموافقة لحاجاتنا، ومهما تقدم العلم فلن يستطيع الغض من أمر هذه الفطرة، ولن يستطيع إهمالها أو الاستعاضة عنها إلا قليلا، ما لم تكن الفطرة في الإنسان شاذة مريضة، والمريض الشاذ ينبغي علاجه.

ومن هذه الإحساسات الفطرية الصادقة فينا "إحساس الإنسان بوجود الخالق"، وتلهفه دائما لمعونته وإمداداته، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير في نظامه وإتقانه وما فيه من إبداع وحياة وموت إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه.

إنه "شعور فطري" تشترك به جميع الخلائق المدركة، على اختلاف نزعاتها ومستويات ثقافتها، في البيئات البدائية، وفي المدن المتحضرة[56]...إلخ.

إنه شعور مشترك بين جميع الناس من كل فئات الأعمار، كلهم يشعرون بشعور مشترك أن الله حق!

★– الإيمان الفطري عند الشدائد:

للنفوس الإنسانية مؤمنها وكافرها إحساس فطري عميق بأن لها خالقا تلجأ إليه عند الإحساس بالخطر والشدائد. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴾(57).

فالفطرة تحمل المخلوقين على الاتجاه إلى خالقهم والاستغاثة به عند إحداق المخاطر بهم وانقطاع كل الأسباب، لأن الإيمان فطري في النفوس السليمة مستقر في الأذهان الصافية، ويكاد يكون من بديهيات المعلومات.

إنها فطرة لا تنغمس إلا في نفس من بالغ في الانحراف من الناس بدافع لا أخلاقي، ليرضي شيئا في نفسه، فغشي على مرآة فطرته الصافية، وشد عصائب الجهل والعناد على حسه المضيء. وهكذا فقد تظلم مرآة الفطرة في الإنسان بدخان نار التعصب والأهواء، وبعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة، أو بسُحب الشكوك المادية، أو بفعل العقائد الباطلة، فتختفي عنها بعض الحقائق الظاهرة في الكون، وعند ذلك تدعو الضرورة إلى إقامة الأدلة العقلية النظرية، ليزال بها عن طريق العقل الظاهر ما غُشي على مرآة الفطرة بظلمات الغفلة والتقليد الأعمى، والغرائز النفسية، والشكوك المادية، ويمكن تسمية هذه الأمراض الطارئة "بأمراض الحاسة الفطرية"(58).

وإذا تركنا الفطرة ودليلها، كانت الأدلة: الحسية، والعقلية، والشرعية، أدلة ناصعة وقاطعة للتعرف والإقرار بوجود الخالق إقرارا جازما لا ريب فيه.

②– الدليل الحسي:

هذا الدليل يمكن تسميته – بالاتجاه الخارجي – في مقابل – الاتجاه الداخلي – أي – الدليل الفطري – لأن "الدليل الحسي" هو التأمل في آفاق الكون للاستدلال بالآيات الكونية على "وجود الله" من خارج نفس الإنسان.

---

56 عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني – المصدر السابق ، ص98.

(57) سورة لقمان: الآية 32.

(58) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – العقيدة الإسلامية وأسسها: 96 وما بعدها بتصرف.

أ– آية الخلق:

ففي معرض الاستدلال بالآيات الكونية على وجود الله نجد القرآن الكريم يضع أمام الإنسان أكثر هذه الآيات دلالة وأظهرها وضوحا وهي [آية الخلق] من العدم.

وأول سورة نزلت في القرآن ذكرت الإنسان بقضية [الخلق] قالت: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(59).

فذكرت الخلق مطلقا ومُقيَّداً، لتُذكِّر الإنسان في كل أحواله أن هذا الخلق لا بد له من خالق. ثم ذكرت خلقَ الإنسان من عَلَقة ليكون الإنسانُ نفسه هو الدليل الذي يستدل به على خالقه.

وهذا أيضا دليل فطري – دليل الخلق – إلى جانب كونه دليل حسي يعلمه كل إنسان من نفسه ويَذْكُرُه كلما تذكر بني جنسه.

ولكون "آية الخلق" أقوى أنواع الآيات دلالة على الخالق كان القرآن في كثير من آياته يضع أمام العقل الإنساني هذه التساؤلات في صورة الاستفهام التقريري، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(60).

والآية: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾(61).

والآية: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾(62).

هذا استفهام يدل على تقرير النفي، لأن آية الخلق فطرية وحسية وظاهرة للعقول يمكن أن يستدل بها على الخالق، وفي نفسها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى دليل. ولذلك قال ابن تيمية أن آية الخلق وحدها كافية في الاستدلال على وجود الله... وهو نفس الرأي الذي رآه ابن رشد من أن آية الخلق أو الإحداث أو الاختراع صفة بينة بنفسها بحيث يُستدل بها على غيرها ولا يستدل بغيرها عليها(63).

ب– استجابة الدعاء:

ومن الأدلة الحسية استجابة الدعاء. إذ عادة ما نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على "وجوده تعالى"، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(64).

ومازالت استجابة الباري عز وجل للداعين أمراً مشهودا إلى يومنا هذا لمن صَدَق اللجوءَ إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

---

(59) سورة العلق: الآيتان 1، 2.

(60) سورة الطور: الآيتان 35، 36.

(61) سورة مريم: الآية 67.

(62) سورة الإنسان: الآية 1.

(63) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل: 41.

(64) سورة الأنفال: الآية 9.

ومشروعية الدعاء تدل على ثبوت صفات الغِنى، والسمع، والكرم، والرحمة، والقدرة لله سبحانه، قال (علي بن عقيل الحنبلي، ت 513 هـ): قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدعَى.

وثانيها: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

والثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

والرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

والخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

والسادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

وهكذا دلت الإجابة للدعاء على بعض صفات الله فكان مصدراً عمليا محسوساً على الإيمان بالله(65).

جـ- معجزات الأنبياء:

المعجزات هي الآيات أو المؤيدات التي تُصدِّق نبوتهم وتدعم حجتهم ببرهان قاطع مشاهد على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها تعالى تأييداً لرسله ونصرا لهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

* معجزة موسى عليه السلام حين أمره الله أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق أثني عشر طريقا يابسا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾(66).

* ومعجزة عيسى عليه السلام حيث كانت يُحْيِي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ ﴾(67).

وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي ﴾(68).

* ومعجزة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾(69).

فهذه المعجزات آيات محسوسة وغيرها كثير يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصْراً لهم تدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى.

③- الدليل العقلي:

---

(65) نقلا عن علم الإيمان للزنداني، ص61.

(66) سورة الشعراء: الآية 63.

(67) سورة آل عمران: الآية 49.

(68) سورة المائدة: الآية 110.

(69) سورة القمر: الآيتان 1، 2.

إن دلالة العقل على وجود الله تعالى استنادا إلى الوحي من دلالة المخلوقات سابقها ولاحقها أنه لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن تُوجِدَ نفسَها بِنفْسِها، ولا يمكن أن تُوجَدَ صدفة، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(70).

– إن هذه المخلوقات التي تعمر عالم الشهادة وغيرها، لا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها، لأن الشيء لا يخلُقُ نفسَه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا ؟!

– ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها بهذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتِها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعا باتا أن يكون وجودها صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره ؟

– وإذا لم يمكن أن توجِدَ هذه المخلوقات نفسَها بنفسِها، ولا أن تُوجَدَ صدفةً تَعيّنَ أن يكون لها مُوجِدٌ وهو البارئ عز وجل.

وهذا المعنى المتعين في آيتي سورة الطور يشير إلى الدليل العقلي والبرهان القطعي الذي يعني أنهم لم يُخلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين خَلَقوا أنفُسَهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

④– الدليل الشرعي على وجود الله:

إن الدليل الشرعي القطعي على وجود الله عز وجل هو القرآن كله، إنه كلامه، فإذا ثبت أنه ليس كلاما لمخلوق وليس في وسع مخلوق أن يأتي بمثله فهو إذن كلام الخالق.

وهذا هو الدليل القاطع والحجة البالغة على وجوده تعالى. فالقرآن كلام الله سبحانه وتعالى إلى البشر، وهو صفته فهل يجوز أن يبحث بين كلام المتحدث عن دليل يثبت وجوده ؟!

والدليل على أنه كلامه، أنه ليس كمثله كلام يمكن أن يوجد من المتكلمين من دونه، ومازال تعجيز قائله سبحانه للبشرية، بل وللجن معهم أيضا منذ نزوله قائما حتى الآن، قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(71).

وكلام الله المعجز حقيقة مؤكدة، مسجل ومكتوب ومحفوظ بين دفتي المصحف ومقروء ألفاظا وأصواتا على ألسنة القراء من البشر، فهو الصفة الإلهية الكريمة التي أوجدها الله في قلوب المؤمنين وصدورهم وهو بذاته معجز لأنه ليس كمثله كلام، وذلك دليل على أن قائله ليس كمثله شيء سبحانه.72

ثانيا/ توحيد الله تعالى:

أ– التوحيد في اللغة: «التوحيد: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً».

---

(70) سورة الطور: الآيتان 35، 36.

(71) سورة الإسراء: الآية 88.

72 أنظر د .فاروق دسوقي ، مرجع سابق : ص 35 وما بعدها .

ب– التوحيد في الاصطلاح: «التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة».

ويعني التوحيد في الاصطلاح تفصيلا: أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا، لا تشرك به نبيا مرسلا، ولا مَلَكاً مقربا، ولا مَلِكًا أو رئيسا ولا عظيما من عظماء الخلق، بل تفرد الله تعالى بالعبادة وحده: محبة، وتعظيما، ورغبة، ورهبة..

وهذا هو التوحيد الذي أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل لتحقيقه في الناس لأنه هو الذي يحصل به الإخلال في الناس و التاريخ.

قال الله تعالى مخاطبا محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(73).

جـ– أنواع التوحيد:

فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة:

– الأول: توحيده في ربوبيته

– والثاني: توحيده في ألوهيته

– والثالث: توحيده في أسمائه وصفاته.

ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية، والألوهية، وصفات الكمال وأسماء الجلال. فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يعتقد أن الله ربُ كُلِّ شيء ولا ربَّ غيرُهُ، وإله كُلِّ شيء وَلا إلهَ غيرُهُ، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه ولا كاملَ غيرُهُ.

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله تعالى، وفيما يلي تفصيل الكلام في كل واحد منها على حدة:

★ **النوع الأول/ توحيد الربوبية:**

ومعناه الإجمالي: "الاعتقاد الجازم بأنَّ اللهَ ربُّ كُلِّ شيءٍ وَلاَ ربَّ غَيْرُهُ"(74).

وبيانه: أن الرب في اللغة هو "المالكُ المدبرُ".

– وربوبية الله على خلقه، تعني تفردُهُ سبحانه في: خَلقهم، ومُلكهم، وتَدْبِيرِ شؤونهم.،

فتوحيد الله في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه هو خَالق الخلق، ومَالكهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم، وضارهم، ومجيب دعائهم عند الاضطرار، والقادر ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق، والأمر كله، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(75).

ويدخل في هذا التوحيد "الإيمان بقدر الله" سبحانه، أي الإيمان بأن كل مخلوق مُحْدَثٍ صادر عن علم الله عز وجل وإرادته وقدرته.

وبعبارة أخرى فإن هذا "التوحيد" معناه الإقرار بأن الله عز وجل هو: "الفاعل المطلق في الكون: بالخلق، والتدبير، والتغيير، والتسيير، والزيادة، والنقص، والإحياء والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه".

كما يعرف هذا النوع من التوحيد، [بِتَوحِيدِ اللهِ بِأَفْعَالِهِ].

---

(73) سورة الأنبياء: الآية 25.

(74) د. محمد نعيم ياسين – الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه: 7.

(75) سورة الأعراف: الآية 54.

وقد جاء ذكر هذا النوع من التوحيد في القرآن مرارا وتكراراً، بحيث لا تكاد سورة من سوره تخلو من ذكره أو الإشارة إليه.

فتوحيد الربوبية كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى، لأن الخالق المالك المدبر هو الجديرُ وحده بالعبادة والخشوع والخضوع، وهو المستحق، للحمد والشكر، والذكر والدعاء، والرجاء، والخوف، وغير ذلك.

وبالتالي فالعبادة كلها لا يصح أن تكون إلا لمن له الخلق والأمر كله.

ومن جهة أخرى فإن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات الجلال والجمال والكمال، لأن هذه الصفات لا تكون إلا لرب العالمين.

إذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لِمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أقواله وأفعاله.

ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام:

- الحمد لله: ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(76).
- العبادة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ...﴾(77).
- الاستسلام: ﴿... وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(78).
- بيان صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى: ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(79).

فآية الكرسي تجمع بين ربوبية الله تعالى المتمثلة في ملكوت السماوات والأرض وما فيهما، وقيوميته عليهما، وبين أسمائه الحسنى وصفاته العُلى. فإن الذي خلق السماوات والأرض هو وحده: الحيُّ، القَيُّومُ، العليمُ، الحفيظُ، العَلِيُّ، العَظِيمُ.

★ الإخلال بتوحيد الربوبية:

وأما الذين يقرون بأن اللهَ ربُّ كُلِّ شيء، ولا يوحدونه في ألوهيته، "فيشركون معه غيره في عبادته"، ولا يوحدونه في أسمائه وصفاته، فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق، أو يؤولونها تأويلات فاسدة لا وجه لها، فإن هذا التوحيد لا ينفعهم، ولا يخرجهم من دائرة الكف إلى دائرة الإيمان.

فقد حكى الله سبحانه في القرآن عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وظَلُّوا مع ذلك مشركين، لأنهم لم يوحدوا الله في ألوهيته، فعبدوا غيره سبحانه، ولأنهم لم يوحدوا الله في أسمائه وصفاته، فجحدوا بعضها، ولم يؤمنوا بها، ولذلك قال عنهم الله عز وجل:

---

(76) سورة الفاتحة: الآية 2.

(77) سورة الفاتحة: الآية 5.

(78) سورة الأنعام: الآية 71.

(79) سورة البقرة: الآية 255.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(80).

فقد قال مُجَاهِدٌ في تفسير هذه الآية: «إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرهم»(81).

وهكذا فإنه ليس كلَّ من أَقَرَّ بأن الله تعالى ربُّ كل شيء يكون موحداً له في ألوهيته وصفاته وأسمائه. وأكثر العباد لا ينكرون الخالق، وربوبيته على الخلق، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل.

★ النوع الثاني/ توحيد الأُلوهية:

ومعناه بعبارة إجمالية: "الاعتقاد الجازم بأن اللهَ سبحانه هو الإلهُ الحقُّ، ولاَ إِلهَ غَيْرُهُ وَ"إفراده سبحانه بالعبادة".

وبيان هذا النوع من التوحيد: أن الإله هو المألوه، أي المعبود، والعبادة في اللغة هي الانقياد والتذلل والخضوع، وقد عرفها ابن القيم في قصيدته النونية، بأنها "كَمَالُ الحبِّ مَعَ كَمالِ الخُضُوعِ".

فتوحيد الألوهية مبني على "إخلاص العبادة لله وحده"، في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه: فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره. فيُخلص لله العبادة، محبة، وخوفاً، ورجاءً، ودعاءً، وتوكلاً، وطاعةً، وتذللاً، وخضوعاً، وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى:

- فيتضمن توحيد الله في ربوبيته.
- وتوحيده في أسمائه وصفاته، وليس العكس.

ذلك لأن توحيد الله في ربوبيته لا يعني أنه يوحده في ألوهيته، فقد يقر بالربوبية، ولا يعبد الله عز وجل.

وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته، لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى.

ولكن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق، فيقر أنه سبحانه، هو، وحده، المستحق للعبادة، وأن غيره لا يستحقها ولا يستحق شيئا منها، يقر في الواقع أن الله رب العالمين، وبأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص، فكيف يُعْبَدُ من لم يَخلُق ولم يُدَبِّر أمر الخلق، وكيف يُعبد من كان ناقصا ؟

ومن هنا كانت شهادة أن [لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ] متضمنة لجميع أنواع التوحيد: فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته، الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

من أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، ومن أجله خلقت الخليقة، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ...﴾(82).

---

(80) سورة يوسف: الآية 106.

(81) د. محمد نعيم ياسين – الإيمان مصدر سابق: 11.

(82) سورة الذاريات: الآية 56.

وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية: «وهذا التوحيد – توحيد الألوهية – هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين (83).

ومن أجل توحيد الألوهية أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(84).

ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام فقد كانت الشهادتان أول ركن من أركان هذا الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم: «بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وَإِقَامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة، وصوم رمضان، وحَجِّ البيتِ»85.

هذا ويتطلب [توحيد الله في ألوهيته] التوجه إليه وحده بجميع أنواع العبادة وأشكالها، وإخلاص القلوب فيها من أية وجهة أخرى، وتحقيق هذا التوجه والإخلاص لله في العبادة يستلزم أموراً منها:

أ– وجوبُ إخلاصِ المحَبَّةِ لله عز وجل: بمعنى أن لا يتخذ العبد ندًّا لله في الحب، يحبه كما يحب الله، أو يقدمه في المحبة على حب الله

* وأما الأساس الثاني، فيقتضي وجوب الاقتصار فيما يثبت لله من الأسماء والصفات على ما ورد منها في القرآن الكريم أو السنة الثابتة، فهي تتلقى عن طريق السمع، لا بالآراء، فلا يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يُسمَّى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

لأن الله عز وجل أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾(86).

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: «من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل»(87).

* وأما الأساس الثالث، فيقتضي من العبد المكلف أن يؤمن بتلك الصفات والأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها، ولا بحث عن كنهها، وذلك لأن معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات، لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها وذات الله عز وجل لا يسأل عن كنهها وكيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفياتها.

---

(83) من رسالة الحسنة والسيئة لابن تيمية.

(84) سورة الأنبياء: الآية 25.

85 رواه البخاري ومسلم .

(86) سورة البقرة: الآية 140.

(87) الفقه الأكبر للقاري ص15.

ولذلك أُثر عن كثير من السلف أنهم قالوا عندما سئلوا عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(88) عن كيفية استواء الله عز وجل، قالوا: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فتبين من هذا الأثر المنسوب إلى الإمام مالك رضي الله عنه أن كيفية استواء الله على عرشه غير معلومة لنا، وأن السؤال عنها بدعة.

يقول في بيان هذا المعنى صاحب الروضة الندية ص34:

«فلو أن قائلا قال لنا: كيف يتنزل ربنا إلى سماء الدنيا ؟ قيل له: كيف هو ؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع وتابع له، فكيف تطالبنا ببيان كيفية سمع الله وبصره وتكلمه واستوائه ونزوله ؟ وأنت لا تعلم كيفية ذاته ! وإذا كنت تقر بأن الله عز وجل حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه سبحانه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم...»89.

ويتبين مما تقدم أن توحيد الأسماء والصفات يقدح فيه عدة أمور يجب أن يحتاط المؤمن أن يقع فيها:

1- التشبيه: يعني تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق، كتشبيه النصارى المسيح عيسى بن مريم بالله سبحانه، وتشبيه اليهود عزيراً بالله، وتشبيه المشركين أصنامهم بالله، وتشبيه بعض الطوائف يد الله بيد المخلوق، ووجه الله بوجه المخلوق، وسمع الله بسمع المخلوق...إلخ.

2- التحريف: أو التغيير والتبديل، كتحريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان، أو تغيير الحركات الإعرابية، أو تحريف معناها مما سماه بعض المبتدعين تأويلا، كتحريف بعضهم لقول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (الآية) وذلك بنصب لفظ الجلالة ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ...﴾ ابتغاء نفي صفة الكلام عنه عز وجل.

3- التعطيل: وهو نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله سبحانه، كتعطيل الله جل جلاله عن كماله المقدس، وذلك بجحد أسمائه وصفاته، وكتعطيل المصنوع من صانعه، كمن قال بقدم المخلوقات، وجحد أن الله خلقها وصنعها.

4- التكييف: وهو تعيين كيفية الصفات، وإثبات كنهها.

وهذا المنهج في أخذ الصفات والأسماء المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها من دون: تشبيه، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم من العلماء والمؤمنين، يقول الإمام الشوكاني في كتابه التحف... ص7:

«إن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل. وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، قالوا: قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه، ولا أَذِنَ الله لنا بمجاوزته، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا

---

(88) سورة طه: الآية 5.

89 الروضة الندية ، ص34.

بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه، وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه من الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد وإنفاق الأموال في أنواع البرّ وطلب العلم النافع، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه، والمحافظة على الفوز بموجبات الجنة والنجاة من النار، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ إليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته، فكان الدين إذ ذاك صافيا عن كَدَرِ البدع...»[90].

ثانيا/ أنواع الصفات:

والصفات التي وردت في الكتاب والسنة نوعان:

1- صفات ذات.

2- وصفات فعل.

1- فأما الصفات الذاتية، فهي التي لا تنفك عن الله سبحانه: كالنفس والعلم، والحياة، والقدرة والسمع، والبصر والوجه والكلام والقَدَم والملك والعظمة والكبرياء والعُلوّ والغنى والرحمة. وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله عز وجل أنها قائمة في الله سبحانه لا ينفك عنها.

2- وأما صفات الفعل، فهي ما تعلق بمشيئة الله وقدرته، كالاستواء والنزول والمجيء والتعجب والضحك، والرضا والحب والكره والسَّخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت.

والواجب في هذه الصفات بنوعيها إثباتها لله تعالى على حسب المعنى الذي يليق بكمال الله تعالى: وهو المعنى الحقيقي الذي ليس فيه تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف. وأن نقول مثل ما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

«آمنتُ باللهِ وبما جاء عَنِ اللهِ على مرادِ اللهِ، وآمنت برسولِ اللهِ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ثالثا/ أسماء الله عز وجل:

وأما أسماء الله تعالى، فهي أعلام عليه، أخبرنا بها الله في كتابه، والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته. وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة أو صفات لله سبحانه. وكل اسم منها مشتق من مصدره، كالعليم والقدير والبصير، ونحوها، فالعليم مشتق من العلم، وهو يدل على صفة العلم للباري، وكذلك بقية الأسماء.

- والاسم الجامع لمعاني الأسماء كلها، والصفات كلها هو [الله] وقد اختلفوا في اشتقاقه: فقال جماعة: وأصله «الإله» حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام فصارتا لاما واحدة مشددة مضخمة، ورجح هذا ابن القَيّم وسيبويه والطبري، وذهب بعضهم إلى أنه ليس بمشتق.
- هذا ولا تَنَافي بين كون هذه الأسماء نعوتا لله عز وجل وأعلاما عليه، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه. وكل أسماء الله تدل على معانيها، وجميعها أوصاف مدح.

---

90 الشوكاني ، التحف : ص7.

- وسميت «الحُسْنَى» لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول.
- وتوحيد الله في أسمائه يقتضي الإيمان بكل اسم سمى به نفسه، بما دل عليه هذا الاسم من معنى وبما تعلق بهذا الاسم من آثار.

فمثلا: ورد في القرآن اسم الله «الرحيم»، فنؤمن بأن هذا عَلَمٌ على الله عز وجل، ونؤمن بأن هذا الاسم يدل على أن الله ذو رحمة، ونؤمن أيضا أن الله يرحم من يشاء، وكذلك كل اسم ورد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وأما عدد أسماء الله جل وعلا، فالذي ورد النص عليه تسعة وتسعون اسما:

جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ للهِ تسعة وتِسعينَ اسما، مائةٌ إلا واحداً، من أحصاهَا دخلَ الجَنَّةَ، إنهُ وِترٌ يحبُّ الوِتْرَ».

وقد اتفق العلماء أن قوله صلى الله عليه وسلم «تسعة وتسعين اسما» لا يحصرها في هذا العدد، وإنما غاية ما في هذا الحديث الصحيح أن لله هذه الأسماء المذكورة، من أحصاها دخل الجنة، وليس فيه نفي غيرها عن الله سبحانه، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.

ويدل على أن هناك أسماء أخرى لم يخبرنا بها الباري تعالى، وإنما استأثر بها في علم الغيب عنده، ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«ما أصاب مسلم قط همٌّ ولا حَزَن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن، أَمَتِكَ، ناصيتي بيدَ:، ماضٍ فيّ حُكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسْمٍ هو لكَ سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في عِلْمِ الغيبِ عندكَ، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبِي وجَلاءَ حُزْني، وذهابَ همّي وغَميّ، إلا أذهب الله عنه همه، وأبدله مكان همه فرحاً، قالوا: يا رسول الله: ألا نتعلمّ هذه الكلمات ؟ قال: بَلَى، ينبغي لمن سَمِعَهُنَّ أن يَتَعَلَّمَهُنَّ»[91].

وأما معنى إحصاء أسماء الله الوارد في الحديث السابق فهو: معرفتها وفهمها، وحفظها، والإيمان بها وحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الله بها، ودعاء الله عز وجل بها، فيكون معنى ما ورد في الحديث: من حَفِظها متفكرا في مدلولاتها معتبرا بمعانيها، عاملا بمقتضاها مقدسا لمسماها دخل الجنة.

رابعا/ أدلة توحيد الأسماء والصفات:

وأدلة توحيد الأسماء والصفات في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، كثيرة جدا، بل أنه لا تخلو سورة من سور القرآن، ولا صفحة من صفحاته من ذكر صفات الله وأسمائه، فتجده يذكرها ويذكِّر بها في مختلف موضوعاته، من توحيد، وعبادة وتشريع، وفي مقام أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وقَصَصِهِ وأمثاله. ونذكر في هذا المقام سورة جامعة في توحيد الأسماء والصفات، وأعظم آية من آي القرآن.

* فأما السورة، فهي سورة الإخلاص، التي تعدل ثُلُث القرآن، كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم. حيث قال: يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(92).

فهذه السورة العظيمة تضمنت إثبات كل كمال لله عز وجل، ونفي كل نقص عنه.

---

91 رواه أحمد.

(92) سورة الإخلاص: الآيات 1-4.

فقد أخبر سبحانه فيها أنه هو الله الأحد الصمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وليس له كفؤ. ومعنى الأحد، الذي لا شبيه له ولا نظير.

فيدل هذا الاسم الكريم على أن الله سبحانه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له. ومعنى الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل. فيدل هذا الاسم على أن الله وحده المستحق لأن يُقصد بالحوائج والمسائل.

ولا يبطل هذا الاستحقاق بذهاب من يذهب عن الحق ويضل السبيل، فَيَقْصِدُ الخلقَ، ويُعرِضُ عن الخالق جل في علاه، لأنه إذا كان الله هو الخالق والمدبر لما خلق، لا خالق غيره ولا مدبر سواه فالإعراض عن قصده سبحانه جهل وحماقة، لأن الأمر بيده كله.

وهكذا فكما أثبت اسم الأحد نفي جميع صفات النقص عن الله عز وجل، فإن هذا الصمد، قد أثبت لله تعالى جميع صفات الكمال والجلال.

يقول ابن القيم في كتابه زاد المعاد عن هذه السورة، سورة الإخلاص: «فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب سبحانه من الأُحَدِيَّةِ المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمدية، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، ونفي الكفُؤ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير، فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، وهذه الأصول هي مَجَامِع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك».

* وأما الآية، فهي آية الكرسي التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنها أعظم آية في القرآن، وفيها يقول سبحانه:

﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(93).

فهذه الآية العظيمة تضمنت قواعد التوحيد بأنواعه الثلاثة، فقد اشتملت على صفات وأسماء كل منها يمثل قاعدة من قواعد العقيدة الإسلامية:

• فقوله تعالى: ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ﴾، قرر قاعدة الألوهية، التي هي أساس التوحيد، والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها، وهي تستلزم الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة. فلا يكون الإنسان عبداً لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله عز وجل، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله، ولا يحتكم إلا إلى الله، ولا يستمد شرعه ولا قيمه ولا أخلاقه ولا مفاهيمه إلا من الله سبحانه وتعالى.

• وقوله تعالى: ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾، أثبت لذاته العلية اسمين عظيمين:

والْحَيُّ: هو الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له ولا آخر، فالحياة التي يوصف بها الله هي الحياة الذاتية التي لم تأت من مصدر آخر، كحياة الخلائق، المكسوبة الموهوبة لها من الخالق. كذلك هي الحياة الأزلية الأبدية التي لا تبدأ من مبدأ، ولا تنتهي إلى نهاية.

• والقيوم: هو القائم أمور الخلق ومدبِّر العالم في جميع أحواله، فهو القيم على كل شيء يرزقه ويحفظه ويرعاه ويدبره بما يريد جل في علاه.

---

(93) سورة البقرة: الآية 255.

وهذان الاسمان ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ من أعظم أسماء الله الحسنى، إذ عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، وصفة القيومية تتضمن كمال غناه سبحانه وكمال قدرته، فهو القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، وهو المقيم لغيره، فكل موجود مرتكن إلى وجود الله وتدبيره.

• ولهذين الاسمين أثر عظيم في حياة المسلم، الذي يؤمن بهما، ويستحضر ما فيهما من عظمة، فإن ضميره يظل مرتبطا بالله، حبا وعبادة وطاعة، لأنه يعلم أن ربه هو الذي يصرِّف أمْرَهُ وأمْرَ كلِّ شيءٍ حوله، وفق حكمة وتدبير، فيلتزم في حياته بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير، ويستمد منه قيمه وموازينه، ويرقبه في جميع أحواله.

• وقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾: توكيد لقيامه سبحانه على كل شيء وقيام كل شيء به، لأن السِّنَةَ – وهي النعاس – والنوم ينافيان الحياة الكاملة، والقيومية الكاملة.

• وقوله تعالى: ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾: يقرر ملكيته سبحانه الشاملة لكل شيء المطلقة من كل قيد، المنزهة عن أية شركة. ولهذه العقيدة، إذ استقرت في قلوب المؤمنين أثر عظيم في حياتهم.

فبمجرد شعور الإنسان بحقيقة المالك سبحانه لما في السماوات وما في الأرض، مجرد تصور الإنسان بخُلُوّ يده هو من ملكية أي شيء مما يقول: أنه يملكه ورد هذه الملكية لصاحبها مجرد إحساسه بأن ما في يده إعارةٌ إلى أمد محدود، ثم يستردها صاحبها الذي أعارها له في الأجل المرسوم.. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيل وحده بأن يُطَامِنَ من حِدَّة الطمع والشره، وحِدَّة الشح والحرص، وحدّة التكالب المسعور، وهذه مما يسكُب في الوقت نفسه في النفس البشرية القناعة والرضا بما يحصل من الرزق، والسماحة والجود بالموجود، كما لا تذهب النفس حسرات على المفقود، فيزداد القلب طمأنينة وقراراً.

• وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾: توضيح لمقام الألوهية ومقام العبودية، فكا مخلوق عبد لله، لا يتجاوز حد العبودية، ولا يتعداه، فليس له الشفاعة عند الله إلا بإذنه، وبهذا تضع هذه العقيدة فاصلا واضحا بين حقيقة العبودية وحقيقة الربوبية، فلا يختلطان ولا يتشاركان في شيء من الصفات أو الخصائص.

• وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾: إثبات لإحاطة علمه سبحانه وشموله للزمان والمكان والأشياء وبيان لعجز المخلوقات ونقص عملهم إلا ما شاء الله أن يعلمهم.

وإيمان المسلم بهذه الصفة لله عز وجل، واستحضارها في قلبه، يجعله مراقبا لربه دائما، ومراعيا لحدوده، سريع التوبة إليه إن أساء. وإدراكه لحقيقة نفسه، ونعمة الله عليه فيما يعلمه إياه من الحقائق يجعله دائما شديد الشكر لله، وبعيدا عن الكبر والتبجح.

• وقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا... ﴾ دليل على كمال قدرته سبحانه وتمامها.

ثم ختم سبحانه هذه الآية العظيمة بذكر اسمين من أسمائه الحسنى فقال:

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه، فلا يتطاول أحد إلى مقامه إلا ويرده الله إلى الخفض والهون في الدنيا، والعذاب في الآخرة والهوان.

والعظم: ذو العظمة الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه سبحانه.

وعندما تستقر حقيقة علو الله وعظمته في نفس الإنسان المؤمن، فإنه يعرف قدر نفسه، ويثوب إلى مقام العبودية لله عز وجل، فلا يتكبر ولا يطغى، وإنما يخاف الله ويهابه ويتأدب معه، ومع خلقه سبحانه.

ذلك بعض من مظاهر عظمة آية الكرسي، فينبغي لكل مسلم أن يحرص عليها، ويحفظها ويتدبر معانيها، ويستحضرها، ويراعي حقوقها، وقد ورد في فضلها أحاديث صحيحة، منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه من حديث طويل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له:

«إذا أويت إلى فراشك، فاقْرأ آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم... حتى ختم الآية، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح»[94].

94 رواه البخاري.

ثالثا/ نواقض التوحيد:

[كلمة التوحيد: لا إله إلا الله حقيقتها ونواقضها:]

1- حقيقة كلمة التوحيد:

عرفنا مما مضى من آيات الله المشاهدة لنا في الآفاق والأنفس أن الكون مليء بالأدلة التي تعرفنا بصفات الأفعال الخاصة بالله سبحانه التي نشاهد آثارها في كل شيء حولنا والتي تدل إلى جانب صفات الذات الواردة في أخبار الوحي أن الله سبحانه العليم الحكيم اللطيف الخبير الحافظ الهادي القدير القوي المحيط الرزاق السميع البصير مجيب الدعاء فعال لما يريد.

وأن هذه الصفات لا يمكن أن تكون صفات لغيره جل وعلا، فيشهد المسلم كما يشهد الكون بصفاتِ الربوبية العظيمة التي تقتضي الشهادة بصفات الألوهية الحقة وصفات الوحدانية الحقة.

والمسلم لا يقف كالفلاسفة عند الشهادة بالربوبية فقط بل يكملها بالإقرار بما يستحقه الخالق من حق على عباده يتمثل في إخلاص العبادة له، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ولذلك فهو يرى أن تلك الأدلة التي يمتلئ بها الوجود من حوله هي أدلة «لشهادة الحق» التي ينطق بها المسلم، متضمنة حق ربه عليه، فيقول شهادة الحق: [أشهد أن لا إله إلا الله].

ويعلم أن الله جَلَّ وعَلاَ لم يتركه بدون هُدىً بل أرسل له رسلا ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيقبل العاقل على رسالة ربه إليه والتي خُتمت وكُمِّلت بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فيقف على أدلة صدقه صلى الله عليه وسلم، ويتلقى منه الدين، ويشهد له بالرسالة وتكتمل شهادة الحق التي جعلها الله بوابة الدخول إلى الإسلام وعصمةٌ لِدَمِ قائلها ومالِه في الدنيا، ونجاة له من الخلود في النار في الآخرة: [[أشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ وأشهدُ أنَّ محمداً رَسُولُ اللهِ]].

أ- معنى لا إله إلا الله:

لا إله إلا الله كلمة التوحيد، مكونة من جزئين، يتضمن أحدهما نفيا والآخر إثباتاً.

فقولك: (لا إله): تنفي به ألوهية ما سوى الله تعالى.

وقولك: (إلا الله): تثبت به الألوهية لله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى.

وأما الإله في اللغة: فهو كل ما اتخذ معبوداً.

وأما لفظ الجلالة (الله): فهو علم على الرب المعبود بحق سبحانه وتعالى.

معنى الإله في القرآن: استعملت كلمة (الإله) في القرآن بمعنيين:

* أحدهما: المعبود الذي يستحق في حقيقة الأمر أن يعبد، وهو الله وحده لا شريك له.

* وثانيهما: المعبود الذي يعبده الناس في الواقع، حقا كان ذلك المعبود أم باطلا.

ب- معنى: محمد رسول الله:

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله، هو إعلان جازم منك أيها المؤمن لا شك فيه ولا ريب أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول من الله إلى الناس كافة جاءهم بالهداية ودين الحق.

2- لا إله إلا الله منهج حياة:

إن معنى العبودية التي هي حقيقة لا إله إلا الله هي الاستسلام والانقياد للخالق سبحانه وتعالى بلا اعتراض، ولا أدنى حرج.

قال الله تعالى في ذلك: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(95).

وأن أنفُس الناس وأجسادهم وأموالهم وكل ما هو مسخر لهم في هذه الدنيا لخدمة حياتهم إنما كل ذلك ودائع لديهم يرثها الله تعالى منهم، حين فنائهم. ولما كان الله سبحانه هو المالك في هذا الكون لكلِّ شيء، وجب أن يخضع كل ما في هذا الكون لأمره ودينه. وواجبك أيها المسلم، أن تخضع حياتك كلها لربك وخالقك، بما في ذلك شؤونك الشخصية والأسرية والمالية والفكرية والعلمية، وأن تسعى لتكون كل علاقاتك بمن حولك وكل تصرفاتك فيما تملك خاضعة لأمر خالقك وإلهك رب السماوات والأرض، فلا يبقى جزء من تصرفاتك أو حياتك خارجاً عن شريعة الله سبحانه وعن حكمه.

وهذا التحقق بالعبودية الكاملة والدنيوية للباري تعالى من قبل المؤمن في شؤون حياته كلها هي إحدى الغايات الكبرى لمعرفة الله ورسوله ودينه، والإقرار بهذه الحقائق والاعتقاد الجازم بها لا على المستوى الفردي فحسب بل على المستوى الاجتماعي والإنساني في العالم كله لتحقيق العبودية التامة لله سبحانه وتعالى، والخضوع له في كل مجالات الحياة العبادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والقانونية والحربية والفكرية والثقافية وسائر مرافق الحياة. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(96).

3- نواقض لا إله إلا الله:

هناك اعتقادات وأقوال وأعمال من أتى بشيء منها نقض إيمانه بهذه الشهادة العظيمة وأحبط عمله، وذلك كالردة عن الدين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(97).

ومعنى حبوط العمل: بطلانه وخسارة أجره. وإليك بعض نواقض شهادة أن لا إله إلا الله.

أولا/ نواقض في الاعتقاد:

أ- إنكار الخالق سبحانه وتعالى وجحوده:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(98).

ب- اعتقاد شَرِيك للهِ تعالى في ربوبيته:

---

(95) سورة النساء: الآية 65.

(96) سورة الأنعام: الآيتان 162، 163.

(97) سورة المائدة: الآية 5.

(98) سورة الجاثية: الآية 24.

كأن يعتقد أن غير الله له قدرة على الخلق أو الرزق أو الإحياء أو الإماتة أو علم الغيب أو ملك النفع والضر، أو قضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات ونحو ذلك من الأعمال التي لا يقدر عليها إلا الله. قال الله تعالى مفندا هذا الاعتقاد الزائف للمشركين بالله في ربوبيته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(99).

جـ- اعتقاد شريك لله في ألوهيته:

كأن يعتقد أن غير الله يستحق العبادة، أو شيئا منها كالمحبة المقترنة بالخضوع والذل، قال الله تعالى في ذلك: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾(100).

دـ- اعتقاد شريك له سبحانه في أسمائه وصفاته:

قال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(101).

عن ابن عباس رضي الله عنه: إلحاد الملحدين أن دَعُوا اللاَّتَ في أسماء الله. وقال ابن جُريج عن مجاهد: اشتقوا اللات من الله، والعُزّى من العزيز. وقال قَتَادة: يلحدون يشركون في أسمائه.

ثانيا/ نواقض في القول:

أ- دعاء غير الله تعالى أو الاستغاثة به لجلب النفع أو دفع الضر:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾(102)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(103).

ب- سَبُّ الله تعالى أو الاستهزاء به سبحانه أو بصفة من صفاته: قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ، لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾(104).

جـ- أو إعلان الكفر بالألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات.

---

(99) سورة الروم: الآية 40.

(100) سورة البقرة: الآية 165.

(101) سورة الأعراف: الآية 180.

(102) سورة الأحقاف: الآية 5.

(103) سورة النحل: الآية 86.

(104) سورة التوبة: الآيتان 65، 66.

د- أو الدعوة إلى ما يناقض لا إله إلا الله من الإلحاد والشرك ومبادئ الكفر قديما وحديثا.

ثالثا/ نواقض في العمل:

كصرف شيء من العبادات العملية لغير الله تعالى كالسجود للشمس والقمر.

قال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(105).

رابعا/ الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم أو إنكار بعض ما أخبر به:

وهو كل فعل أو قول أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها صلى الله عليه وسلم. لأن ذلك ينقض شهادة محمد رسول الله، فإن هذه الشهادة تعني: التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حق وصدق وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أهَّلهُ ربُّه وحلاَّه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه وأكمله.

وبهذا تعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين:

- الأول: كالطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالطعن في صدق الرسول أو أمانته وعفته أو صلاح عقله أو سبه أو الاستهزاء أو الاستخفاف بأي تصرف من تصرفاته...إلخ.
- الثاني: إنكار بعض ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الطعن فيه: كمن ينكر شيئا من القرآن كلام الله، أو إنكار ما أخبر به الرسول في سنته من مثل ما هو ثابت من أمور الغيب، كالبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك.

ولكن يعذر من جحد شيئا ليس مشتهرا في الدين ولا يعلمه إلا خاصة العلماء، ولا يكفر أيضا من أنكر حكما مجتهدا فيه وليس مجمعا عليه.

---

(105) سورة فصلت: الآية 37.

الركن الثاني:

الإيمان بالملائكة

أولا: تعريف الملائكة

الملائكة جمع ملاك، وهو مشتق من كلمة الألوكة التي هي الرسالة والجمع (ملائك) و(ملائكة)[106]. ومشتق من المَلْك بفتح الميم وتسكين اللام وهو الأخذ بقوة[107].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: و"الملك في اللغة: حامل الألوكة وهي الرسالة"[108].

والذي نستفيده من التعريف اللغوي: أن الملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله في تبليغ الوحي والشرائع.

أما التعريف الاصطلاحي:

فالملائكة "أجسام نورانية لطيفة، أعطيت قدرة على التشكّل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات"[109].

ثانيا: وجودهم وحقيقتهم

وجود الملائكة دل عليه الخبر الصادق المتواتر عن الله تعالى وعن رسوله (صلى الله عليه وسلم). قال تعالى: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين"[110].

وقال تعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"[111].

وقال تعالى: "ينزّلُ الملائكةَ بالرّوح من أمرِه على من يشاء من عِبَادِه أنْ أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا فاتَّقُونِ"[112].

وأما الوارد من ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقوله لجبريل في الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل عن الإيمان: "أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه"[113].

وفي كل من القرآن والسنة الصحيحة نصوص كثيرة أخرى، تخبر بصريح العبارة عن وجود الملائكة.

وبذاك نعلم أن وجودهم ثابت بدليل القطع الذي لا يمكن أن يلحقه شك أو ريب. ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرا بإجماع المسلمين بل بنص قوله تعالى: "ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدًا"[114] على أن الإيمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة. فإنكار وجودهم إنكار للنبوة وللقرآن معا.

106- ابن منظور: لسان العرب، 496/10، والفيروزآبادي،: القاموس المحيط، 327/3.

107- الجرجاني: التعريفات، ص 228.

108- ابن تيمية: النبوات، ص 257.

109- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، 306/6، وانظر (التعريفات للجرجاني /229).

110- سورة البقرة /177.

111- سورة البقرة /285.

112- سورة النحل /2.

113- صحيح مسلم، 37/1.

114- سورة النساء /136.

أما حقيقة الملائكة وكيفية خلقهم، وتفصيلات أحوالهم، فقد إستأثر سبحانه بها. وهذه خصيصة عامة من خصائص العقيدة الإسلامية تناولت الحقائق الكونية والتعريف بها في حدود ما يحتاج إليه البشر ويصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة وما تطيقه عقولهم، فلم يطلعنا الله جلّ وعلا على جميع المغيبات سواء منها ما تعلّق بجلاله وصفاته وأسمائه وما تعلق بمخلوقاته الغيبية. لهذا نجد أن الذي يستقصي الآيات القرآنية الكريمة ولأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم، يلاحظ أنها تناولت في الغالب ما يبين علاقتهم بالخالق سبحانه وبالكون والإنسان وتزكية قلوبنا وتصحيح أعمالنا[115].

ثالثا: صفاتهم الخلقية

وبناء على ذلك فإن الله عز وجل لم يخبرنا عن صفاتهم الخلقية إلا النزر اليسير، فأخبرنا سبحانه أنهم خلقهم قبل آدم، إذ ورد في القرآن أن الله أنبأهم بأنه سيخلق الإنسان ويجعله في الأرض. قال تعالى: "وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يُفسِك الدّماءَ ونَحنُ نسبّح بِحمدك ونُقدسُ لك، قال: إنّي أعلم ما لا تَعْلَمُون"[116].

أ- مادة خلقهم

وأما عن المادة التي خلقوا منها، فقد أخبرنا الرسول –صلى الله عليه وسلم- أن الله خلقهم من نور، فقد أخرج مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم"[117].

ب- تفاوتهم في الخلق: والملائكة يتفاوتون في الخلق والمقدار، فمنهم من له جناحان ومنهم من له أكثر من ذلك قال تعالى: "الحمد للهِ فاطِرِ السّموات والأرض جاعل الملائكة رسُلاً أولي أجنحة مثنَى وثلاثَ وربّاعَ، يزيد في الخلق ما يشاء"[118] وليس لنا أن نعلم شيئا عن الصفات التفصيلية لهذه الأجنحة وكيفيتها، إذ إنهم محجوبون عنا بإرادة الله وحكمه، ولم يفصل القرآن الخبر عن ذلك.

ومن أعظم الملائكة جبريل، وقد رآه الرسول –صلى الله عليه وسلم- على صورته التي خلقه الله عليها مرّتين، فعن عبد الله بن مسعود قال: "رأى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق"[119].

ج- لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

وقد ضل مشركوا العرب في هذا إذ زعموا أنهم بنات الله، وقد أكذبهم لله هذه الفريّة التي لا تقوم على دليل، قال تعالى: "فاستفتهم ألربّك البَناتُ ولهم البنُون؟ أم خلقنا الملائكة إناثا وهمْ شَاهِدُون، ألاّ إنّهم من إفّكهم ليقولون: ولدَ اللهُ، وإنّهُمْ لكاذبون، اصطفى البنات على البنين، ما لكم كيف تَحْكُمُون: أفَلاَ تذَكّرون أم لكم سلطان مُبينٌ"[120]، وقد جعل القرآن مقالة التفرد هذه شهادة ستحاسبون عليها يوم القيامة. "وجَعَلُوا المِلاَئِكَةَ الذين هُمْ عِنْدَ الرَّحمن إناثا أَأَشْهِدُوا خَلْقَهُم، سنكتبُ شهَادتُهم، ويُسْألون"[121].

115- عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة.

116- البقرة/30.

117- رواه مسلم.

118- سورة فاطر /1.

119- رواه الغمام أحمد في مسنده.

120- سورة الصافات /149-150.

121- سورة الزخرف /19.

د– لا يأكلون ولا يشربون: من صفات الملائكة أنهم لا يأكلون ولا يشربون، فقد جاء بعض الملائكة إبراهيم الخليل عليه السلام في صورة بشر، فقدّم لهم طعامًا فلم ينالوا منه شيئا: فلمّا رأى أَيْدِيهُمْ لا تَصِلُ إليه نَكِرهُمْ وأوجَسَ مِنْهُم خيفَةً"[122].

هـ– لهم القدرة على التمثل بصور البشر بإذن الله، كما أخبر الله عز وجلّ عن جبريل عليه السلام أنّه جاء مريم في صورة بشرية فقال تعالى: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتدبتْ من أهلهَا مكانا شرقيًا، فاتخذتْ مِنْ دونِهم حجابًا، فأرْسَلْنَا إليها روحَنَا فتمثلَ لها بشرا سويّا"[123].

ولا يملون ولا يتعجبون، فهم يقومون بعبادة الله وتنفيذ أوامره بلا كلَل ولا مللٍ ولا يُدركهم ما يدرك البشر، قال الله تعالى في وصفهم "يسبّحون الليل والنهار لا يفترون"[124]. وقال فيهم أيضا: "فالذّين عند ربّك يسّبحون لهُ بالليل والنّهار وهم لا يَسْأمُون"[125].

ي– كثرة عددهم: والملائكة خلقٌ كثير لا يعلم عددهم غلاّ الذي خلقهم "وما يعلم جنُود ربّك إلاّ هو"[126] ويفهم من سياق الآية أن المقصود بالجنود هم الملائكة.

وقد أخبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن كثرتهم، فقد مرّ –صلى الله عليه وسلم– في إسرائه بالبيت المعمور وهو البيت الذي تحجّ إليه الملائكة، وهو في السّماء السابِعَة قال: "فإذا هو يدخلهُ في كل يوم سبعون ألف مَلَكٍ، إذا خَرَجُوا لم يَعُودُوا إليه آخر ما عليه"[127].

رابعا: وظائف الملائكة

إن فهم وظائف الملائكة في هذا الوجود وأعمالهم التي أنيطت بهم وكذا الغاية من خلقهم تتحدّد وفق الصلة القائمة بين الله والملائكة من جهة وبين الملائكة والكون والإنسان من جهة أخرى.

أ– صلة الملائكة بالله عزّ وجل:

علاقة الملائكة بالله تعالى هي علاقة تعبدية تقوم على الطاعة والامتثال والخضوع المطلق لأوامره عز وجل. قال تعالى: "بل عِبَادٌ مُكْرمُون، لا يسبقونه بالقولِ، وهم بأمره يعملون، يعلمون ما بين أيديهم وما خَلْفَهُمْ ولا يشفعون إلاّ لمنْ ارْتَضَى، وهُمْ من خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ"[128].

وقال أيضا: "لا يَعصُون الله ما أمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يؤمَرُون"[129]

منهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة، يطيعونه سبحانه ولا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم، كما أنهم لا يستطيعون أن يقترحوا على الله شيئا بفضل قوتهم وهم منقطعون دائما لعبادة وطاعة أمره.

122– سورة هود /10.

123– سورة مريم /17/16.

124– سورة الأنبياء /20.

125– سورة فصلت /38.

126– سورة المدثر /31.

127– رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

128– سورة النحل /

129– سورة التحريم /

وإذا كانت هذه حقيقة وظيفتهم التعبدية: عبادة كاملة وطاعة كاملة لأوامره تعالى، فمن الشرك بالله أن يُعْبَدُوا او يستعان بهم أو يعتقد أن لهم من الأمر شيئا. قال تعالى: "ولا يأمُرَكم أن تتخذُوا الملائكة والنبيين أربابًا أَيَأْمُرُكُمْ بالكُفْرِ بعد إذ أنتم مسلمون"[130].

وقد نص القرآن بصريح العبارة أن عدد الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة. قال تعالى: "والملَكُ على أرْجَائِها ويَحْمِلُ عَرْشَ ربّك فَوقَهُمْ يومئذٍ ثمانية"[131].

ب- صلة الملائكة بالكون والإنسان:

إن علاقة الملائكة بالكون والإنسان هي فرع من علاقتهم بالله عزّ وجلّ التي تتلخص في العبودية القائمة على الطاعة المطلقة في تنفيذ الأوامر ذلك أن عبادتهم لله كما أخبر سبحانه لا تقتصر على التسبيح بحمد الله وتمجيدهم له، وإنما تشتمِلُ على تنفيذ إرادته جلا وعلا بتدبير أمور الكون ورعايته بكل ما فيه من مخلوقات كونية، وما فيه من حركة ونشاطٍ، وما فيه من حياة وجماد وما فيه من قوانين ونواميس، وإنفاذ قدره وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها.

وتنفيذ إرادته سبحانه في الكون تكون بمراقبة وتسجيل كل ما يحدث من حركات إرادية وغير إرادية، فالملائكة موكلون بالسماوات والأرض، وكل حركة في الكون تدخل في مجال اختصاصهم كما أراد خالقهم سبحانه وتعالى في قوله عنهم "فالمدبّرات أمرا"[132]، "فالمقسمات أمرا"[133]. فما من شيء في الكون إلاّ والملائكة موكلون به "وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنّها موكلة بأصناف المخلوقات وأنّه سبحانه وكلّ بالشمس والقمر ملائكة وبالأفلاك ملائكة، وبالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة وبالرّحم ملائِكة تديرُ أمر النطفة حتى يتمَّ خلقُها، وبالموت ملائكة ووكل بكل عبد ملائكة يحفظونه، وبكل مخلوق وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة"[134].

وعلى سبيل المثال نجد أن "ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربّه، يصرفون الرماح والسّحاب كما يشاء الربّ جل جلاله –فما من قطرة تنزل من السماء إلاّ معها ملك يقرّرها في موضعها من الأرض"[135] ومن الملائكة من هو موكل بالسحاب ففي سنن الترمذي عن ابن عبّاس أن الرّسول –صلى الله عليه وسلم- قال: "الرّعد ملك من ملائكة الله موكل بالسّحاب معه مخاريق من نار سوِق بها السّحاب حيث شاء الله"[136].

ولا ينافي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض لأن هذه القوانين والأسباب إنّما هي مخلوقات من مخلوقات الله، والملائكة موكله بها أيضا وموكلة برعايتها، كما ترعى المخلوقات الأخرى، ولولا إرادة الله في حفظ هذه الأسباب والقوانين وقدره في تسخير الملائكة للحفاظ عليها كما استلزم أبدًا بقاءها على هذه الآماد الطويلة في انتظامها وتناسقها[137].

130- سورة آل عمران /80.

131- الحاقة /17.

132- سورة النازعات /5.

133- سورة الذاريات/4.

134- ابن القيام الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، 2/120-121.

135- ابن كثير: البداية والنهاية، 1/50.

136- الترمذي: سنن الترمذي، 4/257، وأحمد في مسنده، 1/274. وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني، 3/188.

137- عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة، ص 67.

وأما الإنسان فيدخل بحياته الفطرية في تلك الرّعاية، التي وكلّ الله سبحانه الملائكة بها لأنه مخلوق من مخلوقات الله في الكون، بل هو المخلوق الذي سخّر الله له ما في الكون كله، كما قال تعالى: "ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض"[138].

فحفظ الملائكة ورعايتها للسماوات والأرض وما فيهن، رعايةً له وعونا له على القيام بحق الخلافة ومسؤوليتها.

وقد كانت للملائكة صلة قوية بآدم وبنيه من بعده على يوم الدّين فعندما خلق الله تعالى آدم أمر الملائكة بالسّجود له. قال تعالى: "وإذ قال ربّك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين، فإذا سويتهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"[139].

وفوق هذا فإن للملائكة أعمالا أخرى في حياة الإنسان الإرادية هدفها –كما حدّدها الله لهم– هداية البشر، وإسعادهم، ومساعدتهم على عبادة الله وعلى اختيار الهدى والصلاح، واجتناب الشرّ والفساد والضلال. ومن هذه الأعمال والوظائف ما يلي:

– إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين ثبت ذلك بقوله تعالى: "وإنّه إنّه لتنزيلُ ربِّ العالمين، نزل به الرّوح الأمين، على قلبك لتكوُنَ من المنْذِرِين"[140].

– ملازمة الإنسان خلال مراحل حياته وفي مختلف شؤونه كلّها يلهمونه الحق والخير ويحثونه عليهما، فقد قال –صلى الله عليه وسلم–: "إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمةٌ، فأمّا لمتُ الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنّه من الله، ومن وجد الآخر فليتعوّذ من الشيطان"[141]. ثم قرأ: "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم"[142].

– الدعاء والاستغفار للمؤمنين قال تعالى: "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا، ربّنا وسِعْتَ كلّ شيء رحمة وعِلْما، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهِمْ عذاب الجحيم، ربّنا وأدخِلْهُم جنّات عدْنٍ التي وعدتَّهم ومن صَلُحَ من آبائهِم وأزواجهم وذرّياتِهِم، إنك أنت العزيز الحكيم، وقِهِمْ السّيئات ومن تقِ السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم"[143].

– مراقبة العمال والتصرفات وإحصاؤها في كتاب مبين، وقد أطلق الله على الملكين القائمين بهذا الأمر صفتي: رقيب، وعتيد، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصِ ما يحققه من حسنات والثاني عن شماله وهو يحصي ما كسبته من الآثام، نجد بيان ذلك في قوله تعالى: "إذ يتلقّى المتلَقّيان عن اليمين وعَنِ الشّمَال قعيد ما يَلفِظُ من قوْلٍ إلاّ لديه رقيب عتيد"[144].

– التشجيع على طاعة الله وعبادته والحث على العلم والخير وذكر الله في مجالس الذكر. من ذلك ما روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ‘ن لله تبارك وتعالى –رضي الله عنه، عن النبي –صلى الله عليه

138– سورة لقمان /20.

139– سورة ص /71-72.

140– سورة الشعراء /193-194.

141– سورة البقرة /268.

142– رواه الترميذي في السنن والنسائي وابن حيان.

143– سورة غافر /7-8-9.

144– سورة ق /17-18.

وسلم- قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى، تنادوا هلموا على جاجتكم قال فيحُوفُّوهم بأجنحتهم على السماء الدنيا"[145].

- التثبيت على العمل الصالح وخاصة الجهاد في سبيل الله تعالى كما قال الله عز وجل" "إن يوحي ربّك على الملائكة أنّي معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرُّعب، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا مِنْهم كلَّ بنانٍ"[146].

- قبض الروح عند الوفاة عرضها على الخالق عز وجلّ قال تعالى: "حتى إذا جاء أحدكُمُ المَوْتُ توَفّته رسلنا وهُمْ لا يفرّطون"[147].

- رعاية الجنَةِ وأهلها، وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين يقومون بهذه الوظيفة اسم (الخزنة) من ذلك قوله تعالى: "وسيقَ الذين اتقوا ربّهم إلى الجنّة زُمُرًا حَتّى إذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكُمْ طبتم فادْخُلُوهَا خالدين"[148].

- القيام بشؤون النار وأهلها، وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين أقامَهُم اللهُ على هذا الأمر اسم (الزبانية)، وقد ذكر الله تعالى أن عددهم تسعة عشر ملكا، يقول الله تعالى: "وما أدراك ما سقَرْ، لا تُبْقي ولا تذَرُ، لوّاحةٌ للبشر، عليها تسعة عشر، وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكةً وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنةً للذين كفروا"[149].

خامسا: أسماؤهم.

ورد في الكتاب والسنة أسماء بعض الملائكة منها

1- **جبريل عليه السلام أو الروح:** قال تعالى: "قل من كان عدوا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يدين وهدى وبشرى للمؤمنين"[150].

2- **ميكال أو ميكائيل:** قال الله سبحانه "من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين"[151].

3- **إسرافيل:** هو الملك الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[152].

4- **مالك:** وهو خازن النار: قال الله تعالى: "ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك"[153].

5- **رضوان:** وهو خازن الجنة صرّح به الرسول –صلى الله عليه وسلم- في بعض الأحاديث[154].

145- صحيح البخاري 119/4، صحيح مسلم 2069/4-2070.

146- سورة الأنفال /12.

147- سورة الأنعام /61.

148- سورة الزمر /73.

149- سورة المدثر /27-31.

150- سورة البقرة /97.

151- سورة البقرة /98.

152- ابن القيم: إغاثة اللهفان، 122/2.

153- سورة الزخرف /77.

154- ابن كثير: البداية والنهاية، 50/1.

6- **هاروت وماروت:** وهما ملكان مسّماهما الله سبحانه بقوله: "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النّاس السّحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"[155].

فهؤولاء الملائكة وغيرهم ممن ورد ذكرهم في أحاديث صحيحة ثبتت صحتها يجب الإيمان بهم وبما نيط بهم من الوظائف والأفعال.

وأما الملائكة الذين لم يرد ذكرهم، فيجب أن نؤمن بهم إجمالا ونؤمن بما ذكر عن أصنافهم وأفعالهم في القرآن والسنّة من كرام كاتبين وملك الموت وحملة العرش وغيرهم.

سادسا: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

للملائكة آثار إيجابية على الإنسان المسلم منها:

1- أنّه يعصِم المؤمنين من الوقوع في الخرافات والأوهام التي يقع فيها من لا يؤمنون بالغيّب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي. وذلك لأن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي هو من أوصاف المتقين. قال الله عزّ وجل: "الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[156].

2- أن الإيمان بالملائكة يدفع الإنسان إلى الاستقامة على منهج الله تعالى، فإن من يوقن بوجود ملائكة الرحمن من حوله، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية، ولا في السر، غذ كيف له ذلك وهو يعلم أنّ كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

3- الإيمان بالملائكة يعكس لنا من وجه آخر مركز الإنسان الكبير في هذا الوجود، فالملائكة الذين هم أشد منا قدرة، وأنقى سريرة، وأطهر ذاتا، قد أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، وسخّروا التدبير حياتنا في الدنيا والقيام بشؤوننا في الآخرة، وفي هذا تنبيه للإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في أرضه أن يسلك الصراط المستقيم، ويتجنب طرق الغواية والضلال.

4- الإيمان بالملائكة يدفعنا إلى التشبه بهم في الطاعات، فهم يسبّحون الله في الليل والنّهار ولا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد نبّه الإمام الغزالي على هذا المعنى في بيانه لأسرار العبادات حيث قال فيما يخص أسرار الصوم: "إن المقصود به الاقتداء بالملائكة في الكفّ عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزّهون عن الشهوات.. وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة.. والملائكة مقرّبون من الله عز وجلّ، والذي يقتدي بهم ويتشبّه بأخلاقهم يقرّب من الله عز وجل كقربهم، فإن الشبيه من القريب قريب"[157].

5- الأنس بهم وعدم الشعور بالوحشة أو الاستسلام لليأس: "فعندما يضل الركب عن الطريق وتسود الجاهلية الجهلاء، ويصبح المؤمن غريبا في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الصدود والاستهزاء، والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسا ورفيقا يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معه، وتشدّ من أزره، وتذكره بالخير عند ربّه، فهو إذا ليس وحده في الطريق على الله ولكن يسير مع الرّكب العظيم"[158].

155- سورة البقرة /102.

156- سورة البقرة، /1-3.

157- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين 351/1.

158- د. محمد نعيم: الإيمان، ص 36-37.

6- الإقدام لدى مواجهة العدو، فالمجاهد في سبيل الله يعلم أنّ الله تعالى معه، ولا يتخلّى عنه. وهو يؤيده بجنود من عنده، وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو. فكم من مأزق نجّى الله فيه المؤمنين، وكتب لهم فيه النصر على عدوهم. فقد أمدهم بالملائكة في بدر وسخّر الريح على الأحزاب حتى هدت خِيَّامهم وكفأت قدورهم.

مما تقدم يتبين لنا أن الإيمان بالملائكة له أعمق الأثر في نفس المؤمن وقلبه وعمله واستقامته، فوجودهم نعمة من الله، والإيمان بهم نعمة أخرى.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب السماوية من أركان العقيدة الإسلامية، لقوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا(136)"[159] . والكتب السماوية التي يجب الإيمان بها هي:

1- القرآن الكريم: الإيمان بالقرآن الكريم هو أصل الإيمان بسائر الكتب السماوية الأخرى، وذلك لأننا عن طريقه عرفنا بوجود كتب سماوية، فهو المصدر الموثوق الذي يمكن أن نطمئن إليه في هذا الأمر، والإيمان بالقرآن الكريم يكون بالتسليم المطلق بأنه آخر الكتب السماوية، ونؤمن بالخاصتين اللتين تميزانه عن غيره من الكتب وهما خاصيتا **التصديق والهيمنة**، وذلك لقوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"[160] .

وخاصية التصديق معناها أن القرآن الكريم مصدق ومؤيد لما جاء في الكتب السماوية السابقة عليه، وأما الهيمنة فهي أن القرآن الكريم ناسخ لبعض الشرائع التي جاءت في هذه الكتب، وعليه فهو المرجع النهائي في الأحكام.

2- صحف إبراهيم: أخبرنا القرآن الكريم عن صحف إبراهيم كما في قوله تعالى:" إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(18)صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى(19) "[161] فوجب الإيمان بها وبما ورد فيها بإجمال.

3- التوراة: وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، والتوراة التي يجب علينا الإيمان بها ليست التوراة الموجودة بأيدي اليهود والنصارى حاليا لما دخلها من التحريف، إنما نؤمن بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام قبل أن يلحقها التحريف، وأما بعد أن لحقها التحريف فهي لم تعد " التوراة".

الزبور: الزبور في اللغة هو الكتاب المزبور، أي المكتوب، والزبور هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داوود عليه السلام، قال الله تعالى:" وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(163)"[162]، وما قيل بشأن التوراة يقال في الزبور.

4-الإنجيل: ومعناه البشارة، والإنجيل الذي أمرنا بالإيمان به هو الكتاب المنزل على عيسى بن مريم عليه السلام، وأما المتداول حاليا بين أيدي النصارى فقد دخله التحريف.

---

159 سورة النساء، الآية 136

160 سورة المائدة، الآية 48

161 سورة الأعلى، الآية 18، 19

162 سورة النساء، الآية 163.

الركن الرابع:الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل من أركان العقيدة الإسلامية، قال الله تعالى:" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(285)"[163]. و هذا الإيمان لا ينفك عن الإيمان بالله الواحد، كما أن الإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بسائر هم، فلا يصح الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم الآخر.

أولا : معنى النبوة:

1- في اللغة: مشتقة من"نبا" ومعانيها تدور حول:

- أ : الرفعة :جاء في القاموس المحيط " النباوة " تعني ما ارتفع من الأرض، و"نبأ" الشيء ارتفع و ظهر0

- ب: معنى الخبر، ونبأ :أخبر، وتأتي بمعنى أعلم.

فالمعنى الأول يشير إلى علو منزلة النبي عند الله تعالى، والثاني يشير إلى أن النبوة تعطي معارف وأخبارا[164].

وقال الإيجي في معنى النبي: وهو لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي، فقيل : هو المنبيء من النبأ لإنبائه عن الله تعالى، وقيل: من النبوة وهو الارتفاع لعلو شأنه، وقيل من النبي وهو الطريق لأنه وسيلة إلى الله تعالى[165].

فالنبوة إعلام من الله تعالى يأتي بخبر يقيني بعيدا عن الوهم والكهانة والتنجيم وغير ذلك.

2- **في الاصطلاح:** بناء على المعنى اللغوي يكون النبي رفيع المنزلة عند الله لكونه المنبئ والمخبر عنه بعد الاصطفاء، فالنبوة هي" **اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه**" ، والنبي " **عبد اصطفاه الله بالوحي إليه**".

والنبوة اصطفاء إلهي خص به الله تعالى من شاء من عباده لتبليغ رسالاته، قال الله تعالى:" قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(59)"[166] .قوله عز وجل:" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(33)"[167].

ثانيا: معنى الرسالة:

أ- **في اللغة:** هي التوجيه بأمر ما، والرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه.

ب- **في الاصطلاح:** تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته للناس.

والرسول هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه، قال تعالى:" اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(75)"[168].

---

163 سورة البقرة، الآية: 285

164 علي عبد الفتاح المغربي، النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي. ص13

165 عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. مكتبة المتنبي، القاهرة ص: 337

166 سورة النمل الآية 59

167 سورة آل عمران الآية 33

168 سورة الحج الآية 75

ثالثا: الفرق بين النبي والرسول: إن كلا من النبوة والرسالة اصطفاء إلهي، ولا مجال فيهما للاكتساب، غير أن الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوة من وجوه، منها:

1- في القرآن الكريم آيات تضيف وصف الرسالة لبعض الأنبياء، ومن ذلك قوله تعالى:" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا(51)"[169] وقوله تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(45)وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(46)"[170] ، وإضافة وصف بعد آخر بالعطف يفيد المغايرة، يؤيد هذا أيضا أن بعض الأنبياء أشار إليهم القرآن الكريم ولم يضف إليهم وصف الرسالة، كما في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا"[171] والآية تذكر نبيا ولكنها لا تصفه بالرسالة.

2- وحي النبوة في رتبة أقل من وحي الرسالة، وذلك أن وحي الرسالة لا يكون في النوم، وهذا على خلاف وحي النبوة، الذي قد يكون في النوم، والحكمة في ذلك أن وحي الرسالة فيه تشريع، بينما وحي النبوة ليس فيه ذلك، ويمكن استخلاص ذلك مما وقع مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث أورد ابن حجر في الفتح أن ابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة ، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان.

3- النبوة تأتي أولا ثم تأتي الرسالة، ويتضح ذلك من خلال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، حيث يذكر ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث بدء الوحي، ناقلا عن الشعبي قوله:" أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة".

4- كل رسول نبي والعكس غير صحيح، فهما يشتركان في الإبلاغ والإنذار ، غير أن الرسول يأتي بشرع مبتدأ[172]، بينما النبي يدعو إلى شريعة سابقة.

ومن العلماء من ذهب إلى أن الكلمتين مترادفتان، وأنهما ذات مدلول واحد، فكل نبي يسمى رسولا، وكل رسول يسمى نبيا، غير أنه يسمى رسولا بالنظر إلى ما بينه وبين الناس ، ويسمى نبيا بالنظر إلى ما بينه وبين الله. وهذا الرأي لا يستقيم لمخالفته لصريح الأحاديث النبوية الشريفة التي تذكر الأنبياء يعدد يخالف عدد الرسل[173].

رابعا: حاجة البشر إلى الرسالة: يحتاج البشر إلى الرسالة من عدة وجوه منها:

1- من أشد حاجات الإنسان إلحاحا، حاجته إلى التدين، ولا شك أن الدين الصحيح لا يكون من إبداع الإنسان، وإلا لكان كل فرد من أفراد الإنسان دينه الخاص به، ومن ثم يكون الناس في حاجة إلى رسل يعلمونهم الدين الصحيح، الذي به يعرفون أوامر الله ونواهيه، ويعرفون عاقبة المخالفة والجحود، ومنه يتلقون الخبر عما أعد من ثواب للمطيعين، وما أعد من عذاب للمخالفين الجاحدين.

---

169 سورة مريم، الآية 51

170 سورة الأحزاب، الآية : 45، 46

171 سورة البقرة ، الآية 246

172 القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص232

173 انظر :شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني، ج2 ص101

2- يسعى الإنسان دوما إلى تحصيل المعرفة ليحصل من ورائها كمالات أخرى يطمح إليها، وتحصيل الإنسان للمعرفة تحصيل محدود، إذ يصل إلى مرحلة في سعيه يقف عاجزا عن تجاوز ما هو فيه، وهذا في الوقت الذي تبقى الأسئلة تلح عليه، وأكثر الأسئلة إلحاحا عليه، تلك المتعلقة بالغيب، ولا شك أن الطريق الوحيد لذلك هم الأنبياء والرسل، وذلك لما ثبت من عجز الإنسان عن معرفته.

3- أن التشريعات التي يحتكم إليها الناس إن لم تكن من مصدر يعلم مكنونات النفس البشرية، يكون تحقيقها للعدل محدودا جدا لكون هذه التشريعات تخدم واضعها، بينما إذا كانت من المصدر الإلهي الذي يعلم السر وأخفى يكون تحقيقها للعدل بمراعاة جميع الناس، لأن الحق لا يحابي أحدا، وهذا كفيل بدفع أسباب الخلاف المؤدي إلى الفوضى والتقاتل بين الناس. فالرسالة الإلهية تعرف الناس بما يجب عليهم حتى يقوموا بالقسط، قال الله تعالى:" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(25)"[174] ، والرسالة هنا تمنع اعتذار الناس عن فعلهم السيئات بعدم وجود دليل يدلهم على الحق، قال الله تعالى:" رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(165)"[175] .

خامسا: مهمة الرسول: يمكن إجمال مهمة الرسول فيما يأتي:

1- تبليغ الشريعة إلى الناس: وذلك لقوله تعالى: " يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)"[176]

2- تبيين ما أنزل عليه من النصوص: وهذا بين في قوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(44)"[177].

3- هدية الأمة ونصحها: هداية الأمة ونصحها من صميم عمل الرسول مع أمته، فهو الهادي وهو المعلم، ومن ثم فهو ينصح للأمة ما وسعه النصح.

4- تربية الناس على منهاج الشريعة الربانية: لما كان هو المربي فإنه يقوم على تربية الأمة بأقوم الأساليب، ومن هذه الأساليب:

أ- القدوة الحسنة: قال الله تعالى:" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(21)"[178]

ب- الحكمة والموعظة الحسنة: أمر الله تعالى رسله بالتحلي بالحكمة في الدعوة، قال الله تعالى:" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(125)"[179]

---

174 سورة الحديد، الآية 25

175 سورة النساء، الآية 165

176 سورة المائدة ، الآية 67

177 سورة النحل، الآية 44

178 سورة الأحزاب، الآية 21

179 سورة النحل، الآية 125

ت- التجرد عن الأغراض الشخصية: ورد ذلك في قوله تعالى:" قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ(90)"[180]، فالرسول إنما]ؤدي هذه الرسالة التزاما بأمر الله تعالى، ولا يريد على ذلك جزاء من احد من العباد.

5- الشهادة على الأمة بأنه بلغ إليهم الرسالة: قال الله تعالى في هذا الشأن: " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ(89)"[181].

سادسا: صفات الرسل: إن الرسول بكونه الطلع بمهمة تبليغ رسالة ربه إلى الناس، لابد أن يكون متصفا بجملة من الصفات تتحقق معها أهليته للتبليغ، ويمكن إجمال هذه الصفات فيما يأتي:

1- **الفطانة**: الفطنة مطلوبة في من يتصدى لدعوة الناس بصورة عامة، وهي في الرسول مطلوبة بصورة أشد، وذلك لأنها مظنة حفظ الوحي وفهمه، وبالتالي تبليغه كما نزل، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى هذه الصفة ، ومن ذلك قوله تعالى:" لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17)"[182] ، وقوله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى(6)"[183]، وفي الآية دليل على فطنة الرسول لكونه لا ينسى شيئا من الوحي.

2- **العصمة**: في اللغة هي المنع، كما في قوله تعالى:" قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ(43)"[184]، وقوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)"[185].

وأما في الاصطلاح فهي: حفظ الله أنبياءه ورسله من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة"، أو " هي ملكة إلهية تمنع الإنسان من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها".

وجوب العصمة في حق الأنبياء: الرسول هو المثل الأعلى في أمته، وهو المقتدى به في الاعتقادات والأقوال والأفعال، ومن ثم لابد أن تصفو اعتقاداته أقواله وأفعاله من المعاصي ، فلو كان النبي يأتي بالمعاصي لكان الأمر بالاقتداء بهم أمرا بإتيان هذه المعاصي، وهو محال.

ومن النصوص القرآنية التي تدل على العصمة قوله تعالى:" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(2)"[186] ، وغفرا الذنب الماضي هو العفو عنه، أما غفران الذنب المستقبل فهو العصمة من الوقوع فيه، وفي الآية وعد من الله عز وجل أن لا يدع لنبيه ذنبا إلا غفره ، وليس يلزم عنه وقوع الذنب منه عليه الصلاة والسلام.

بيان ما جاء في بعض النصوص مما يوحي ظاهره وقوع الأنبياء في المعاصي: في القرآن الكريم آيات يشير ظهرها إلى وقع الأنبياء في المعاصي، ومن هذه النصوص ما يأتي:

---

180 سورة الأنعام ، الآية 90

181 سورة النحل ، الآية 89

182 سورة القيامة، الآية 16، 17

183 سورة الأعلى، الآية 6

184 سورة هود الآية 43

185 سورة المائدة، الآية 67

186 سورة الفتح، الآية 2

– قوله تعالى في شأن آدم:" وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(122)"[187] ، نقل القاضي عياض عن ابن فورك قوله بأنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ، وذلك أن الله تعالى ذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، أي أن المعصية كانت قبل النبوة[188].

– قوله تعالى:" عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ(43)"[189]، قال القشيري: إنما يقول العفو: لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب، قال: ومعنى:" عَفَا اللَّهُ عَنْكَ " أي لم يلزمك ذنبا[190].

3- الصدق: من صفات المبلغ عن الله تعالى الصدق قطعا، والله تعالى لا يقر نبيه على الكذب لو صدر منه لقوله تعالى:" وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(44)لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(45)ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(46)فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(47) "[191]

4- التبليغ: وذلك لقوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)"[192]

5- عدم تعرضهم للأمراض المنفرة: وذلك لأن طبائع الناس تنفر من الأمراض المشينة والمعدية، والأنبياء مكلفون بمخالطة الناس وتبليغهم أوامر الله تعالى، وهذه الأمراض مما يعرقل مهمة النبي.

6- البشرية: الأنبياء والرسل بشر، وكونهم بشرا هو مما احتج الكفار به ليبرروا عدم تصديقهم،قال تعالى:" وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا(7) "[193] وقال عز وجل أيضا:" وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا(94)"[194] ، وقد رد الله تعالى عليهم بأن كون الرسول بشرا هو من تمام حكمة الله تعالى، فالبشر لا يُفهمه إلا بشر مثله "قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا(95)"[195].

سابعا: **معجزات الأنبياء:**

تعريف المعجزة: هي أمر ممكن عقلا خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجزهم عن الإتيان بمثله.

شروط المعجزة:

---

187 سورة طه، الآية 121، 122

188 القاضي عياض، الشفا، ص492.

189 سورة التوبة، الآية 43

190 القاضي عياض، الشفا، ص489، وقد استعرض القاضي عياض سائر النصوص الأخرى الواردة في القرآن الكريم في شأن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وتلك الواردة في شأن سائر الأنبياء، وبين أن ليس فيها ما يدل على وقوع الأنبياء في المعاصي، وخطأ من يفسرها خلاف ذلك.

191 سورة الحاقة، الآية 44-47 .

192 سورة المائدة، الآية67.

193 سورة الفرقان، الآية 7

194 سورة الإسراء، الآية 94.

195 سورة الإسراء، الآية95.

1- أن تكون قولا أو فعلا أو تركا، فالأول كالقرآن الكريم، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

2- أن تكون خارقة للعادة، وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى.

3- أن تكون على يد مدعي النبوة .

4- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة.

5- أن تكون موافقة للدعوى .

6- أن لا تكون مكذبة للمدعي.

7- أن تتعذر المعارضة .

8- أن لا تكون زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها [196] .

الفرق بين المعجزة و ما قد يلتبس بها :

-المعجزة: أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة مأمون تبدل صاحبها لأنه معصوم.

-الكرامة: أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدع للنبوة غير مأمون تبدل صاحبها لأنه غير معصوم.

-المعونة: أمر خارق يظهر على يد بعض العوام تخليصا له من شدة .

-الإهانة:أمر خارق يظهر على يد كاذب مدع للنبوة على خلاف مطلوبه.

-الاستدراج: أمر خارق يظهر على يد فاسق مدع للألوهية موافقا للمطلوب.

-الإرهاص: أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل بعثته كتظليل الغمام لسيدنا محمد ع.

- السحر:قواعد يقتدي بها على أفعال عزيزة بالنظر لمن جهل قواعده و يمكن اكتسابه بالتعليم .

-الشعوذة: خفة اليد بواسطتها يرى الشخص أشياء على أنها حقيقة ولا حقيقة لها في الواقع .

أقسام المعجزة: يمكن تقسيم المعجزة إلى قسمين: حسية ومعنوية.

1- المعجزة الحسية:هي معجزة أجراها الله تعالى على يد أنبيائه، وهي مخالفة لما ألفه الناس، وأمثال هذه كثيرة منها:

- معجزة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من انفلاق البحر حين ضربه بعصاه.
- معجزات سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.

القرآن والمعجزات الحسية: مع أن القرآن الكريم قص علينا كثيرا من المعجزات الحسية التي أجراها الله تعالى على أيدي أنبيائه لقطع حجج الكافرين، إلا أنه بالمقابل يريد إقامة الإيمان على أساس الدليل والبرهان المستقى من التأمل في المعجزة الكونية الظاهرة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن طلب المعجزة الحسية مثل قوله تعالى:" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ

196 تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري ص77.

وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ(109) "[197].فالقرآن الكريم يريد أن يرتفع بالإنسان من مستوى الإيمان القائم على المعجزة الحسية المباشرة التي تبهر الأنظار ، إلى طريق الإيمان القائم على البرهان.

2- المعجزات المعنوية: يمكن القول أن مرحلة الإيمان القائم على المعجزة الحسية الخارقة للطبيعة كانت تتناسب مع المستوى المعرفي الذي وصلت إليه البشرية في الوقت الذي سيقت فيه، حيث لم تكن قواها العقلية من النضج بحيث تكون مؤهلة لاستيعاب معجزات من مستوى آخر وهو المستوى العقلي.

وأشهر المعجزات العقلية معجزة القرآن الكريم، لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تحدى به العرب وهم أفصح الناس لسانا وأشدهم اقتدارا على الكلام بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه.

ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة مثل الإعجاز البلاغي، النفسي والتاريخي وغيرها.

ومعجزة القرآن الكريم زيادة على كونها معجزة معنوية ، فإن طبيعة هذه المعجزة داخلة في مضمون الدعوى نفسها، حيث إنها تشمل مضمون الرسالة التي يجب التصديق بها، وهذا على خلاف المعجزات الحسية، حيث إن هذه الأخيرة ليست داخلة في مضمون الرسالة، أي أنها لا تتضمن أحكاما تكليفية تعبدية، والتصديق بها وحدها ليس كافيا للإيمان بما جاءت به الرسل[198].

ومن المعجزات المعنوية أيضا المعجزة الخلقية، وهي حال النبي صلى الله عليه وسلم، فما استمر عليه عليه الصلاة والسلام من الآداب الكريمة والأخلاق الشريفة ما لو أفنى العمر كله في تهذيب النفس لم تحصل كذلك، قال الله تعالى:" وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4)"[199]

ثامنا: ختم النبوة: ختم النبوة واحدة من العقائد الأساسية في الإسلام، ومضمونه أن النبوة ختمت بمحمد عليه الصلاة والسلام، وذلك لقوله تعالى:" مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(40)"[200]. ولقوله عليه الصلاة والسلام: " لا نبي بعدي إلا ما شاء الله" ، وقال أيضا:" ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة" .

نتائج عقيدة ختم النبوة: لعقيد ختم النبوة نتائج نذكر منها:

1- غلق الباب أمام كل من يدعي النبوة، وكل من يدعي أنه يتلقى الوحي وجب تكذيبه وذلك للتلازم بين النبوة والوحي، فختم النبوة يعني أن الوحي انقطع.

2- توجيه الإنسان إلى تحصيل المعرفة من الوحي المعصوم من جهة، ومن أقطار السماوات والأرض والنفس الإنسانية وتاريخ الإنسان من جهة أخرى، و لا يبقى منتظرا لوحي جديد أو نبوة جديدة أو ما يشبه ذلك.

الوحي

---

197 سورة الأنعام، الآية 109.

198 قال ابن رشد: إن دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست كدلالة انقلاب العصا حية، أو كدلالة إحياء الموتى وإبراء المرضى، فإن تلك وإن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء وفيها ما يقنع الجماهير من العامة، إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة، وأهداف الوحي، ومعنى الشريعة. أما القرآن فدلالته على صفة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإيراء على الطب ، ومعرفة السطوح على الهندسة... ومثال ذلك لو أن شخصين ادعيا الطب فقال أحدهما : الدليل على أني طبيب أني أطير في الجو، وقال الآخر دليلي أن أشفي الأمراض وأذهب السقام، لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعا وعند من طار في الجو مقنعا فقط.

199 سورة القلم، الآية 04

200 سورة الأحزاب، الآية 40.

تعريفه:

أ– في اللغة: يأتي الوحي والوحى في اللغة بمعان عدة منها الإشارة السريعة، الكلام الخفي، الإلهام و الإعلام. وعليه فالوحي في اللغة تدور معانيه حول: الإسرار والإعلام في سرعة وخفاء.

ب– في الاصطلاح: هو إعلام الله رسولا من رسله أو نبيا من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به.

وعليه فالوحي بهذا المعنى الشرعي يستجمع عدة عناصر هي:

1-كونه إعلام من الله تعالى.

2- أن النبي أو الرسول يتلقى هذا العلم الإلهي وهو مستجمع كامل شعوره الوجداني وقدراته العقلية حول ما يلقى إليه من علم، دون أن يكون لإرادته تدخل في مضمون أو لفظ ما يلقى إليه.

3- أن ما يلقى بالوحي من كلام أو معنى يحتل في ذات النبي الرسول أو النبي مركز العلم اليقيني القاطع بصحة التلقي عن الله.

4- ظاهرة الوحي ناموس إلهي تلقى به جميع الأنبياء والرسل ما يلقى إليهم من إعلام، قال الله تعالى:" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(163) "[201]

وقال عز وجل أيضا مبينا عدم تدخل إرادة الرسول فيما يلقى إليه :" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(15) "[202] .

أنواع الوعي: الوحي على ثلاثة أنواع جاء ذكرها في قوله تعالى:" وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ(51)"[203] .

1- الوحي القلبي: ويكون بإلقاء المعنى في قلب الرسول على وجه يحصل له معه علم ضروري لا يستطيع له دفعا، وله صورتان:

أ- النفث في الروع: ويكون بإلقاء المعنى المراد في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث:" إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"[204]

ب- الرؤيا الصادقة: وهي ما يراه النبي في منامه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:" رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"[205] ، " "[206]

---

201 سورة النساء، الآية .163

202 سورة يونس، الآية 15

203 سورة الشورى ، الآية 51

204 رواه الشهاب القضاعي(1151) عن ابن مسعود، وأبو نعيم في الحلية، (10/26،27) من حديث أبي أمامة ، وله شاهد من حديث جابر عند ابن ماجة(2144).

205 أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا عن أبي هريرة

206 حديث بدء الوحي بتمامه في صحيح البخاري ،كتاب :كتاب بدء الوحي

2- الوحي التكليمي: هو تكليم الله تعالى أنبياءه دون وساطة ملك وهو على صورتين:

أ- الكلام المباشر: هو تكليم الله تعالى نبيه دون وساطة ملك واختلف في وقوعه، وقال بعض العلماء وقع لمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج.

ب- الكلام من وراء حجاب: وهذا حصل مع موسى عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى" وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا(164)"[207].

ت- الوحي بإرسال الملك: وهو أن يرسل الله تعالى: ملكا مكلفا بالوحي إلى رسوله، لقوله تعالى:" وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ(194)بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)"[208]، وله ثلاثة صور:

- مجيء الملك في صورة ملائكية: حدث هذا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت صلصلة الجرس بمثابة إيذان بمقدم الملك.
- مجيء الملك في صورة غير مرئية.
- مجيء الملك في صورة بشرية: حيث ورد أن الملك جبريل تمثل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي، وفي صورة الأعرابي كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه[209].

باب :باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله جل ذكره إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده النساء ، حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : (ما أنا بقارئ) . قال : (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : إقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : إقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم) . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : (زملوني زملوني) . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : (لقد خشيت على نفسي) . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ، ابن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : يا بن عم ، إسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك من قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو مخرجي هم) . قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي ..

207 سورة النساء ،الآية 164

208 سورة الشعراء، الآية 192-195

209 كيفية نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم أورد البخاري فيها حديثا في كتاب بدء الوحي، ونصه:

باب :باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله جل ذكره إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، النساء

حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليه ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول) . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا .

الإيمان باليوم الآخر

تمهيد :

من نعم الله –تبارك وتعالى– علينا أنه أعطانا تصورا شاملا عن الحياة الأخرى وجعل من مظاهر تكريمنا خلودنا في الجنة إذا أطعناه، وصلتنا بذلك العالم تقوى وتضعف بقدر صلتنا بالقرآن الكريم والتفكر في آياته.

وحين نتبع آي الذكر الحكيم نلاحظ أنه كشف لنا عن هذه الحياة الدنيا وحقيقتها، وعن سر وجودنا فيها، وأنها زائلة وما هي إلا معبر إلى الحياة الأبدية.فإذا كان الإنسان معتبرا عاشها يقظا زارعا فيها للخلود في الحياة الأخرى السعيدة، أما إذا كان غافلا ماديا فإنه يختار الدنيا لأنها من جنس هواه فتنسيه الحكمة من وجوده.

ومن مظاهر رحمة الله –عز وجل– بنا أنه أكثر من المقارنة بين الحياتين لعلمه –سبحانه وتعالى– بضعف النفس البشرية واختيارها للعاجل من اللذات، فكانت تلك المقارنة ترهيبا لها من الخطإ واختيار مسالك جهنم، وترغيبا في نيل الخلود في جنة النعيم، يقول –سبحانه وتعالى– :

[وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون، أفلا تعقلون][1].

[اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور][2].

[إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم][3].

[وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون][4].

إن هذا الخطاب القرآني يكشف لنا عن حقيقة الدنيا، لكنه لا يحجر على الإنسان تناول حظوظها إذا كان حذرا مستوفيا لما يعطيه الأمل في سعادة الخلود[5].

ومن فضله –سبحانه وتعالى– علينا مجازاته لنا على عدم عصيانه بما أخبرنا عنه من نعيم الجنة، ذلك لأن إيماننا وطاعتنا له –سبحانه وتعالى– لا يوجب عقلا ولا عدلا، إلا النجاة من العقاب الذي يترتب على المخالفة لأوامر الله ونواهيه، فما النعيم الذي أخبرنا به –عز وجل– إلا فضل منه على مخلوقاته ذلك لأن رحمته –عز وجل– وسعت كل شيء[6].

اليوم الآخر

أ– حقيقته :

---

(1) الأنعام / 32.

(2) الحديد / 20.

(3) يونس / 24-25.

(4) العنكبوت / 4 .

(5) ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج : 25، ص : 75.

(6) المرجع نفسه ج 8، ص 134-135.

المراد باليوم الآخر أمران : ((الأول : فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة كلها.والثاني : إقبال الحياة الأخرى وابتداؤها، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الدنيا وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية))[1].

واليوم الآخر من الأمور الغيبية التي تثبت معرفتنا بها عن طريق الوحي الصادق، وقد أثنى القرآن الكريم على المؤمنين به، يقول –عز وجل- : **[ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون]**[2].

نلاحظ أن الله –سبحانه وتعالى- مدح المؤمنين بالآخرة في هذه الآيات ثلاث مرات، فقال بأن المؤمنين بالغيب هم المتقون، والإيمان بالآخرة من الإيمان بالغيب، ثم قال بأنهم على هدى من ربهم، ثم سماهم المفلحين، يقول ابن عاشور : ((خص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان، لأن الإيمان بالغيب إي ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإن آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول والنظر فيما يبلغه عن الله –تعالى- فسهل عليه إدراك الأدلة، وأما من يعتقد أن ليس وراء عالم الماديات عالم آخر، وهو ما وراء الطبيعة فقد راض نفسه على الإعراض عن الإيمان بوجود الله –عز وجل- وعالم الآخرة، كما كان حال الماديين وهو المسمون بالدهريين))[3].

ب- حكم الإيمان به :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية، ثبت هذا بالقرآن والسنة النبوية ، يقول –تبارك وتعالى- **[ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب، والنبيين، وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون]**[4].

ويقول –سبحانه وتعالى- : **[يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا]**[5].

ويقول –عز وجل : **[لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما]**[6].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : [الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره][7].

وحين نتأمل آي الذكر الحكيم نلاحظ أنه كثيرا ما يربط بين الإيمان بالله –عز وجل- والإيمان باليوم الآخر، ذلك لأن الإيمان باليوم الآخر لا يتأتى إلا لمن يحمل التصور الصحيح عن حقيقة الألوهية، ولأهمية الإيمان بهذا اليوم في رسم المنهج الذي يسلكه الإنسان في حياته الدنيا.

وقد تعددت تسميات اليوم الآخر في القرآن الكريم وكلها توحي لنا بما سيحدث فيه، وتدعونا إلى التأمل في الاسم ومحتواه، ومنها :

يوم الخروج : [يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج][1].

---

(1) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن، ص : 202.

(2) البقرة / 1-5.

(3) التحرير والتنوير، ج : 1، ص 230.

(4) البقرة / 177.

(5) النساء / 136.

(6) النساء / 162.

(7) سبق تخريج الحديث .

(1) ق / 12.

يوم الحسرة : [وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون][2].

يوم الأزفة : [وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع][3].

يوم الدين : [وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين][4].

يوم البعث : [وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم لا تعلمون][5].

يوم الجمع : [وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا، لتنذر أم القرى ومن حولها، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه، فريق في الجنة، وفريق في السعير][6].

يوم الحساب : [هذا ما توعدون ليوم الحساب][7].

يوم التناد : [ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد][8].

يوم الفصل : [هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون][9].

يوم القيامة : [كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور][10].

يوم الوعيد : [ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد][11].

يوم الخلود : [ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود][12].

إمكان الحياة الأخرى والحكمة الإلهية :

إن إمكان وجود حياة أخرى لا يتعارض مع العقل، ولا يستطيع العقل أن يحكم باستحالته ((لأنه لا يملك مقومات هذا الحكم من لزوم اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما هنا، أو اجتماع الضدين في محل واحد، أو مخالفة لقضية عقلية بديهية أولية، بل هو يجوز حدوث الحياة بعد الموت ولا يمنعه، وبخاصة أن الإنسان الحي قد وجد قبلا من لا شيء، فإعادة الحياة إليه بعد الموت أوفر إمكانية وأقرب وقوعا.والذي يقدر أن يخلق الأحياء ومنها الإنسان ولم يك شيئا فهو يقدر على إعادة الحياة إليه بعد الموت بطريق أولى))[13].

---

(2) مريم / 39.

(3) غافر / 18.

(4) الصافات / 20.

(5) الروم / 56.

(6) الشورى / 7.

(7) ص / 53.

(8) غافر / 32.

(9) الصافات / 21.

(10) آل عمران / 185.

(11) ق / 20.

(12) ق / 34.

(13) عبد الله نعمة، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، ص 314.

وقد استدل القرآن الكريم على ذلك الإمكان بمخاطبة العقل بالمنطق السليم **[قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم]**[1]، **[وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه]**[2].

والعلم يؤكد أن الإنسان لا يبلى كله وإنما يبقى بعضه يحمل الحياة ((فقد قام طبيب ألماني اسمه (أرفين سانتو) باستخراج بعض البكتيريا من جسم مات من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ووضعها في محاليل غذائية (محلول الليتون) لمدة سبعة عشر ساعة، ثم وضعها تحت المجهر فلاحظ أنها تتحرك، وعاشت بعد ذلك لمدة. وفي سنة 1951 أعلنت عالمة روسية اسمها (البشكايا) أن بعض الخلايا يمكن إحياؤها مرة أخرى، وأن من بين الخلايا نوعا منها (ناقلة للحياة) من الممكن أن تقفز من كريات دموية متآكلة وأنه لا شيء يموت كله، وإنما يموت بعضه وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة))[3].

إننا في هذه الحياة الدنيا نرى أشكالا كثيرة من البشر، فنجد كثيرا منهم يعيشون تحت قهر الظلم والاستبداد ولا يجدون من يأخذ بحقهم، ومنهم من يحرم من جميع نعم الدنيا فلا يجد مسلكا إلا الصبر، ومن الناس من يستجيب لنداء الوحي ويعيش حياته مجاهدا من أجل تطبيق تعاليمه والامتثال له، ومنهم من يعيش حياته مكافحا من أجل إطفاء نوره، فهل يعقل أن يسوى بين جميع هؤلاء، فينتهون إلى نهاية واحدة، دون أن يكون هناك موعد يحاسب كل منهم على ما قدم؟.

إن الحكمة الإلهية التي نلمسها في أنفسنا وفي جميع مظاهر الكون تجيبنا أنه من المستحيل أن نكون خلقنا عبثا وألا تكون حياة أخرى تجزى فيها كل نفس بما مكسب.

وحين نرجع إلى القرآن الكريم نجد أن الله –عز وجل– قد تكلم عن هذه الحكمة بنفي تلبس خلقه بالباطل وكونه خلق بالحق. يقول –عز وجل– : **[إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين، فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون]**[4].

ويقول : **[وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار]**[5].

ويقول : **[وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل]**[6].

ويقول : **[ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، والذين كفروا عما أنذروا معرضون]**[7].

ويقول : **[وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم..ليجزي الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم، والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم]**[8].

فحين نتأمل هذه الآيات نلاحظ أن الله –عز وجل– في خطابه يجمع بين الحديث عن خلق السموات والأرض وما بينهما، وتلبس ذلك بالحكمة والحديث عن الحياة الأبدية، وذلك لتذكيرنا أن حكمته –سبحانه وتعالى– الملاحظة في جميع مخلوقاته، هذه الحكمة ترشدنا إلى وجود حياة أخرى.

يقول ابن عاشور : ((انتفع الناس بصلاح الصالحين واستضروا بفساد المفسدين، وربما عطل هؤلاء منافع أولئك، وهذب أولئك من إفساد هؤلاء، وانفض كل فريق بما عمل لم يلق المحسن جزاء على إحسانه، ولا المفسد جزاء على إفساده، فكانت حكمة خالق الناس مقتضية إعلامهم بما أراد منهم وتكليفهم

---

(1) يس / 78-79.

(2) الروم / 27.

(3) عبد الله نعمة، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، ص : 315-316.

(4) الدخان / 34-39.

(5) ص / 27.

(6) الحجر / 83..

(7) الأحقاف / 3.

(8) سبأ / 3-5.

أن يسعوا في الأرض صلاحا، ومقتضية ادخار جزاء الفرقين، فكان من مقتضاها إحضار الفريقين للجزاء على أعمالهم، وإذ قد شوهد أن ذلك لم يحصل في هذه الحياة علمنا أن بعد هذه الحياة حياة أبدية يقارنها الجزاء العادل، لأن ذلك هو اللائق بحكمة مرشد الحكماء –تعالى– فهذا مما يدل عليه العقل السليم . وقد أعلمنا خالق الخلق بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فتوافق العقل والنقل وبطل الدجح والدخل))[1].

الأدلة العقلية :

رد القرآن الكريم على شبه المنكرين بأدلة عقلية يمكن لأي عاقل إذا كان بعيدا عن التعصب واتباع الهوى التسليم بها، منها :

1-**الاحتجاج بالنشأة الأولى**، وبأن إعادة الخلق أهون من بدئه . ويسمي المنافقة هذا الاستدلال بقياس الأولى. ومن الآيات التي ورد فيها هذا الاستدلال قوله –تبارك وتعالى– :

[ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون][2].

[وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه][3].

[أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد][4].

[أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير][5].

فقد أفادت الآيات أن الذي خلق الخلق أول مرة إعادة خلقه ثانية أهون عليه.

2-**الإحياء على مستوى الأرض** :

من آي الذكر الحكيم التي وردت في موطن الدعوة إلى الإيمان بالبعث وإثبات حدوثه، آيات توجه أنظارنا إلى أن الله الذي يبعث الحياة في الأرض أمامنا مرات عديدة قادر على الإحياء الغائب. (قياس الغائب على الشاهد).

قوله –تبارك وتعالى– :

[وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء، فأخرجنا به كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون][6].

[وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون][7].

[وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور][8].

[فانظر إلى آثار رحمتة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير][9].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج : 22، ص : 143.

(2) الواقعة / 62.

(3) الروم / 27.

(4) ق / 18.

(5) العنكبوت / 19.

(6) الأعراف / 57.

(7) الحجر / 22-23.

(8) الحج / 5-7.

(9) الروم / 50.

[ومن آياته أنك ترى أن الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذي أحياها لمحيي الموتى][10].

لقد ذيلت كل الآيات السابقة بما يفيد أن فيها استدلالا على حدوث البعث، وكلها توجه أنظارنا إلى التفكر في الإحياء المشاهد أمامنا لنقيس عليها ما هو غائب. وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن البعث، فأجاب بما يعزز ما ورد في الآيات السابقة. قيل له : (كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ فقال : هل مررت بواد.غير دي زرع ثم مررت به يهتز خضرا؟ قيل : نعم، قال : فكذلك يحيي الله الموتى. وتلك آيته في خلقه)[1].

3-**مظاهر قدرة الله في السموات والأرض تدل على قدرته على الإعادة.**

وقد يكابر الإنسان ولا يستجيب لأدلة الإيمان بالبعث السابقة فتأتي أدلة أخرى من الكون تفهمه الذي استطاع أن يخلق السموات والأرض لا يعجزه إعادة خلق الإنسان مرة أخرى وهو جزء صغير من الكون.

يقول –تبارك وتعالى- :

[أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، وأن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون][2].

[لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكب أكثر الناس لا يعلمون][3].

[ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير][4].

[أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم][5].

[أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم][6].

فإن الناس يمثلون ظاهرة واحدة من ظواهر هذا الكون الكبير المتمثل بالسموات التي تضم ملايين الكواكب، وملايين الظواهر المتفرقة في داخل كل كوكب فيما يعجز الفكر عن الوصول إليه، فضلا عن أسراره، والمتمثل بالأرض التي تضم مختلف الظواهر في طبيعتها، وفي القوى المودعة في أعماقها، وفي الموجودات المتحركة في داخلها مما لا يدركه العقل ولا يستوعبه الحس، فلا يصل إلا إلى القليل منه، فإذا كان الله –عز وجل- قد خلق السموات والأرض فهل يعجزه خلق الإنسان من جديد وإعادته إلى الحياة بعد الموت ... إنها الحقيقة التي يهتدي إليها الناس بتفكيرهم المستقيم الذي يقودهم إلى الإيمان، **[ولكن أكثر الناس لا يعلمون]** لأنهم لا يريدون الأخذ بأسباب العلم ليدركوا الحقيقة من خلال ذلك.

4-**بعض الأدلة العلمية على حدوث البعث (على مستوى خلق الإنسان):**

فحين نتتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الإنسان ومراحله نجد أنها وردت في إطار الاستدلال على حدوث البعث.

---

(10) فصلت / 39.

(1) أخرجه أحمد (4 / 11،12) عن أبي رزين.

(2) الروم / 8.

(3) غافر / 57.

(4) الشورى / 29.

(5) يس / 81

(6) الحج / 5-6.

يقول –تبارك وتعالى– : **[يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ... ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير]**[1].

ويقول : **[ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون]**[2].

ويقول –عز وجل– : **[أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى]**[3].

ويقول : **[فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر]**[4].

إن هذه الآيات تتحدث عن مراحل خلق الإنسان منذ نشأته أول مرة في صلب الرجل إلى قراره في رحم المرأة، ثم خروجه إلى الدنيا، وورد ذلك بمناسبة الحديث على حدوث البعث، وفي ذلك استدلال على أن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على رجعه مرة أخرى يوم القيامة، وفي هذا دعوة إلى قياس ما هو غائب على ما هو مشاهد (أي الخلق الثاني على الخلق الأول)، وفي هذه الآيات إعجاز علمي دقيق فقد أثبتت نتائج العلم الحديث أن القرآن الكريم قد وصف مراحل نمو الجنين وماهية الظلمات الثلاث، يقول موريس بوكاي : ((إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك، وهو لا يحتوي أية عبارة ينقدها العلم الحديث))[5].

إن في هذه الآيات دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الله –عز وجل– ودلالته على صدق القضية المتحدث عنها وهي البعث.

5–الأدلة التاريخية التي أوردها القرآن الكريم :

أ–يقول –تبارك وتعالى– : **[وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون]**[6].

فهذه حادثة واقعية جرت مع بني إسرائيل حين سألوا موسى رؤية الله –جهرة– فأخذتهم الصاعقة ((والصاعقة نار كهربائية من السحاب تحرق من أصابته، وقد لا تظهر النار ولكن يصل هواؤها إلى الأحياء فيختنقون بسبب ما يخالط الهواء الذي يتنفسون فيه من الحوامض الناشئة على شدة الكهربائية، وقد قيل إن الذي أصابهم بار، قيل سمعوا صعقة فماتوا))[7].

ب– يقول –تبارك وتعالى– **[وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون، قال إنه يقول إنها بقرة**

---

(1) الحج /5,6.

(2) المؤمنون / 12-16.

(3) القيامة / 30-40.

(4) الطارق / 5-8.

(5) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص : 177.وانظر محمد علي البار، خلق الإنسان بين القرآن والطب، ص : 433.

(6) البقرة / 55.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج : 1، ص 507.

لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون، وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى، ويريكم آياته لعلكم تعقلون](1).

فقد ذكر المفسرون أن بعض اليهود قتلوا ابن عمهم الوحيد ليرثوا عمهم وطرحوه في محلة قوم وجاءوا موسى يطالبون بدم ابن عمهم بهتانا وأنكر ذلك المتهمون فأمر الله بأن يضرب القتيل ببعض تلك البقرة فينطق ويخبر بقاتله(2).

جـ-قصة عزيز –عليه السلام- :

يقول –تبارك وتعالى- : **[أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت، قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام. فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير]**(3).

د-إحياء الطيور على يد سيدنا إبراهيم –عليه السلام-:

وفي ذلك يقول –تبارك وتعالى- : **[وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزء، ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم أن الله عزيز حكيم]**(4).

هـ-إحياء الطيور الموتى على يد سيدنا عيسى –عليه السلام- :

يقول -تبارك وتعالى- : **[وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله]**(5).

فكان بإذن الله –عز وجل- يشكل على هيئة الطير فينفخ فيها فتصير طيرا ذا روح تطير بإذن الله(6).

ويقول –عز وجل- : **[وإذ تخرج الموتى بإذني]**(7).

ومعنى ذلك : تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته(8).

و-قصة أهل الكهف :

يقول –تعالى- : **[أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا]**(9).

فهؤلاء الفتية فروا بإيمانهم ولجأوا إلى الكهف فضرب على آذانهم سنين عددا ثم عادوا إلى الحياة فوجدوا أنفسهم في زمن غير الزمن الذي هربوا فيه.

قال -تعالى- **[وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها]**.(10)

---

(1) البقرة / 61-72.

(2) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج: 1، ص 560.وانظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج :1، ص 188.

(3) البقرة / 259.

(4) البقرة / 260.

(5) المائدة / 110.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 2، ص 678.

(7) المائدة / 110.

(8) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج:2، ص : 678.

(9) الكهف / 9.

(10) الكهف / 21.

الحياة البرزخية :

البرزخ في اللغة هو الحاجز بين الشيئين، يقول –تبارك وتعالى– **[بينهما برزخ لا يبغيان]**[1]، أي حاجز.

أما شرعا :

فالحياة البرزخية هي الفترة التي يبقى فيها الإنسان في قبره من موته إلى أن يبعث. أي : ((المدة بين الحياة المادية الأولى والحياة المادية الثانية))[2].

وهي مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو العقاب، دل عليها مجموعة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

–من القرآن الكريم :

قوله –تعالى– في شأن آل فرعون : **[النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب]**[3].

يقول ابن كثير : ((وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور))[4].

–من السنة النبوية :

ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : [إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك][5].

وعن ابن عباس –رضي الله عنه– قال : ((مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : [إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال : بلى إنه كبير . أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة، قالوا : يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا][6].

المراد من نعيم القبر وعذابه النعيم والعذاب في البرزخ بين الموت والبعث، سواء كان ذلك في القبر أو في غيره، وقد أضيف إلى القبر بالنظر إلى أن أكثر الناس يقبرون[7].

أما عن كيفية نعيم القبر وعذابه وما يطرح من شبه المنكرين له فإن ذلك من أمور الغيب التي حجبها الله عن إدراك المكلفين.

والذي يهمنا هو الأخذ بالأسباب المنجية من عذاب القبر، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نستعيذ من هذا العذاب. فعن زيد بن ثابت –رضي الله عنه– قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : [تعوذوا من عذاب القبر، فقالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر][8]. وثبت عنه أيضا أنه كان يدعو فيقول : [اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر][9].

ضمة القبر وسؤال الملكين :

---

(1) الرحمان/20.

(2) الميداني . العقيدة الإسلامية وأسسها .ص

(3) الميداني، المرجع نفسه ، ص 550.

(4) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج، 6ص، 142.

(5) أخرجه البخاري ومسلم.

(6) أخرجه البخاري.
ومسلم في كتاب الطهارة

(7) الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص : 551.

(8) أخرجه مسلم.

(9) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب : التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعلم (2089/4/ ح: 22-27

1-ضمة القبر :

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القبر يضم صاحبه ضمة لا ينجو منها أحد، صالحا أو طالحا، صغيرا أو كبيرا. فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن القبر ضم سعد بن معاذ وهو الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء. يقول صلى الله عليه وسلم : [هذا الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه][1].

ويقول صلى الله عليه وسلم : [إن للقبر ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ][2].

2-في سؤال الملكين :

ومما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن الميت في قبره يأتيه ملكان يسميان (منكر ونكير) فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فإن أحسن الإجابة حسن مقامه في القبر، وإن أساء ساء مقامه.

يقول صلى الله عليه وسلم : [إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين][3].

وعن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ..ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث به في الأرض فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرة أو ثلاثا، قال : [وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربي الله، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله، فيقولان : وما يدريك ؟ قال قرأت كتاب الله فآمنت وصدقت، قال : فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها أو يفتح له مد بصره][4].

وعن الكافر قال : [تعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له : ما هذا الرسول الذي بعث فيكم، فيقول : هاه هاه لا أدري، فينادي مناد أن كذب عبدي فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار، قال : فيأتيه من حرها وسمومها، قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه][5].

وعن البراء بن عازب قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله –جل جلاله– **[يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة]**))[6].

---

(1) رواه النسائي في كتاب الجنائز، باب : ضمة القبر وضغطه (100/4).

(2) اخرجه البيهقي .

(3) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(4) أخرجه أبو داوود في سننه.

(5)

(6) أخرجه البخاري ومسلم.

علامات قيام الساعة (أشراط الساعة):

لقد تضافرت الرسالات السماوية على أن حياة البشر سوف تنتهي من على سطح الأرض، وسيمر على الأرض زمان ليس فيها من حي من بني الإنسانية، ثم يبعث الله الناس من قبورهم ليحاسب كلا على ما عمل في هذه الدار، ثم يجازيه بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا.

ولكن جلت حكمته جعل قبل انتهاء الحياة على الأرض علامات وأشراطا تدل على قرب هذا الحدث العظيم، وهذه العلامات هي ما يسمى بعلامات يوم القيامة، أو بأشراط الساعة، والساعة يوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تأتي بغتة في ساعة أي مدة قليلة.

والأشراط : الأمارات والعلامات، مفردها شرط-بفتح الشين والراء- قال –تعالى- : **[هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها]**[1].

أشراط الساعة :

تنقسم أشراط الساعة وعلاماتها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أشراط ظهرت وانقضت، وهي الأمارات الصغرى، منها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما قوله عليه الصلاة والسلام : ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) وقرب بين أصبعيه السبابة والوسطى.

ومنها **انشقاق القمر** : فقد قال تعالى : **[اقتربت الساعة وانشق القمر]** وقد وقع ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ((انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اشهدوا))[2].

وأخرج أيضا عن أنس بن ملك رضي الله عنه : ((أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر))[3].

ومنها **ظهور نار من أرض الحجاز** تضيء لها أعناق الإبل ببصرى. فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى))

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وكان شيخ المحدثين في زمانه، وأستاذ المؤرخين في أوانه : ((إن في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادي الآخرة منها، ظهرت نار بأرض المدينة المنورة، في بعض تلك الأودية، طول أربعة فراسخ، وعرض أربعة أميال، تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك –الرصاص الأبيض أو الأسود- ثم يصير مثل الفحم الأسود، وأن ضوءها كان الناس يسيرون عليه بالليل إلى تيماء –بلد في أطراف الشام- وأنها استمرت شهرا، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارا، وذكر غير واحد ممن كانوا صبيحة تلك الليلة بحاضرة بصرى الشام أنهم شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار. [4].

القسم الثاني : الأمارات الوسطى، وهي ما ظهر ولم ينقض، بل لا يزال في ازدياد، منها ما أخرجه الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع))[1] أي حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ومنها : **إسناد الأمور إلى غير أهلها** : روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاء أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم : بل لم يسمع، حتى إذا قضى

---

(1) أخرجه مسلم برقم 590.

(2) محمد / 18.

(3) البخاري في المناقب برقم 3437.

(4) البخاري في المناقب برقم 3438. وانظر صحيح مسلم في صفات المنافقين رقم (3800 و 3802 و 3803)

(1) اللكع : العبد الأحمق اللئيم.

حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله، قال : فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة))[2].

ومنها **انتصار المسلمين على اليهود** : فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود))[3].

ومنها **عود أرض العرب مروجا وأنهارا** : فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهار))[4] ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام (تعود) إشارة إلى أن أرض العرب كانت كذلك في غابر الأزمان، وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثبت العلماء أن الجزيرة العربية كان فيها من الأشجار والمروج الشيء الكثير، إلا أنها منيت بعد ذلك بالجدب.

ومنها **كثرة القتل** : فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل القتل))[5].

ومنها **كثرة الجهل ورفع العلم** : فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))[6] ، والمراد بالعلم الذي يرفع العلم بالدين، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يرفع هذا العلم، ففي البخاري ومسلم : ((إن الله لا تقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا))[7].

الأشراط العظمى :

هذه العلامات هي التي يعقبها قيام الساعة وقد جمع أغلبها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن حذيفة قال : أطلع النبي علينا ونحن نتذاكر، فقال : ((ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[1].

وسنقف هنا مع ما يدل على هذه الأمارات من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولا : خروج الدخان :

وإلى جانب الحديث السابق ورد قوله صلى الله عليه وسلم ((إن ربكم أنذركم ثلاثا، الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدخان))[2].

---

(2) البخاري : رقم 59.

(3) مسلم في الفتن برقم (2922) . والغرقد : شجر يسمى العوسج ذو شوك.

(4) مسلم في الزكاة برقم (157).

(5) أخرجه مسلم برقم : (2888).

(6) البخاري برقم (81).

(7) أخرجه البخاري في العلم برقم : (100) . وأخرجه مسلم في العلم برقم : (2673).

(1) أخرجه مسلم والترمذي.

(2) أخرجه الطبري.

ثانيا : ظهور دابة الأرض :

يقول –تبارك وتعالى– **[وإذا وقع القول أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون]**[3].

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله –عز وجل– ونوعها وشكلها وهيئتها من أمور الغيب، والحكمة من ظهورها تمييز المؤمن من الكافر[4].

ومن الأحاديث التي ورد فيها ذكر هذه العلامة قوله صلى الله عليه وسلم ((إن أول الآيات خروجا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا))[5].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض))[6].

ثالثا : خروج الدجال :

والدجال من الدجل، وهو في اللغة معنى الكذب أو التغطية، وسمي بذلك لأنه يموه ويغطي الحق بالباطل. يدعي الألوهية ويحاول فتنة الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات والعجائب بإذن الله –تعالى– فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا، ثم تنقضي فتنته بظهور المسيح عيسى –عليه السلام– فيقتله. وقد ورد في الحديث عن الدجال أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم في وصفه ومكان خروجه ودعوته ومدة بقائه في الأرض ونهايته رحلته.

أ–ما ورد في وصفه :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((إن الدجال ممسوح العين عليها طفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب))[7].

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((بينما أنا قائم بالكعبة، فإذا رجل حسيم أحمر ، جعد الشعر، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة، قالوا : هذا الدجال))[1].

وعن أنس بن ملك –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من نبي إلا وقد حذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر))[2].

ب–مكان خروجه وتنقله في الأرض :

أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة))[3].

–ثم يتجه نحو الغرب، فيمر بأصبهان، فيتبعه من يهودها سبعون ألفا. فعن أنس بن ملك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة))[4].

---

(3) النمل / 82.

(4) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ج : 5، ص : 254.وانظر : مصطفى سعيد الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص : 347.

(5) أخرجه مسلم.

(6) أخرجه مسلم.

(7) أخرجه مسلم.

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه الترمذي.

(4) أخرجه مسلم.

-ثم يتابع سيره نحو الغرب، فيدخل البلاد ويتبعه أهل الفساد، إلا مدينتين لا يستطيع دخولهما وهما : مكة والمدينة المنورة يمنعه الله من دخولهما.

عن أنس –رضي الله عنه- قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس من بلد إلا سيطؤها الدجال، إلا مكة والمدينة وليس من ثقب من أثقابها إلا عليه ملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه كل كافر ومنافق))[5].

رابعا : نزول عيسى بن مريم –عليه السلام- :

لقد نفى القرآن الكريم أن يكون المسيح عيسى بن مريم قد قتل أو صلب، وأثبت أن الله –عز وجل- قد رفعه إليه. يقول –عز وجل- في شأن اليهود :

[وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما][6].

وقد ثبت نزول عيسى –عليه السلام- بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

أما ثبوت ذلك بالقرآن ففي آيتين :

الأولى : قوله -تعالى- : **[وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا]**[7].

الثانية : قوله –تعالى- : **[ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا، بل هم قوم خصمون، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون، وإنه لعلم الساعة فلا تمترن بها واتبعون، هذا صراط مستقيم]**[8].

ومكان الشاهد في الآية الأخيرة **[وإنه لعلم الساعة فلا تمترن بها]** فالضمير فيها عائد على ابن مريم الذي تتحدث عنه الآيات السابقة، والمعنى أن عيسى ابن مريم دليل على قيام الساعة[1].

ومن الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم **[وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليكم شهيدا]**))[2].

عن النواس بن النعمان يقول ((فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب له فيقتله))[3].

خامسا : خروج يأجوج مأجوج :

اسم لأقوام يبلغون من الكثرة مبلغا عظيما ويفسدون في الأرض فسادا كبيرا.

---

(5) أخرجه مسلم.

(6) النساء / 56، 158.

(7) النساء / 151

(8) الزخرف / 57-61.

(1) مصطفى سعيد الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص : 340.

(2) النساء / 159.

(3) أخرجه مسلم.

يقول –تبارك وتعالى– : **[حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين]**[4].

السادسة : طلوع الشمس من مغربها :

فقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن الخلل الذي يحدث في نظام الكون قبل قيام الساعة.

يقول –تبارك وتعالى– : **[هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا، قل انظروا إنا منتظرون]**[5].

وقد ورد تفسير هذه الآية على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج الشمس من مغربها. فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل))[6].

السابعة والثامنة والتاسعة : ثلاث خسوفات :

خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وقد مر معنا الحديث في ذلك.

العاشرة : نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وهي آخر الأمارات وتكون قبيل قيام الساعة .

النفخ في الصور :

لغة : الصور : البوق

شرعا : مخلوق أعده الله ليحدث فيه النفختان [1].

وقد سمي أيضا بالناقور **[فإذا نقر في الناقور]** والتسمية بالناقور تفيد أن النفخ شديد وعظيم.

يقول تبارك وتعالى :

[يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة][2].

[فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون][3].

[ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون][4].

[يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة][5].

---

(4) الأنبياء / 96-97.

(5) الأنعام / 158.

(6) أخرجه البخاري.

(1) الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص : 553.

(2) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمر الآخرة، ص : 159.

(3) الأنعام / 73.

(4) المؤمنون / 101.

(5) الزمر / 39.

ويرى العلماء : أن النفخة الأولى هي نفخة الإماتة العامة، وهي ما أشار إليها القرآن الكريم بالساعة عندما يختل النظام الكوني. يقول تعالى : **[يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم تروها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد]**[6].

أما عن قوله –تبارك وتعالى– : **[ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله..]**فالاستثناء من النفخ اختلف العلماء في حق من يكون. ويرى كثير من العلماء أن الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم الله، لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على الحقيقة[7]ة.

أما النفخة الثانية : فهي نفخة الإعادة إلى الحياة بعد الموت، فيخرج أهل القبور وغيرهم فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير كهيئتها الأولى[8].

وقد عبر القرآن الكريم عنها بالرادفة في قوله –عز وجل– : **[يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة]** [9].

يقول ابن كثير : ((قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية. وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيره))[10].

وورد ذلك في قوله تعالى : **[ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون]**[11]. يقول القرطبي : ((النفخة هي النفخة الثانية ونفخة البعث))[12].

*البعث :

بعد النفخة الثانية يحدث البعث :

والبعث : هو الإرسال . يقال بعثت الناقة، أي أرسلتها.

شرعا : هو إحياء الله –تعالى وتبارك– للأجساد وتزويجها بالأرواح[1].

يقول –تبارك وتعالى– : **[ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون]**[2].وبعد البعث يحشر الناس :

الحشر :

لغة : الجمع.

شرعا : جمع الخلائق للحساب[3].

ورد الحديث عن الحشر في قوله –تبارك وتعالى– :

---

(6) النازعات / 79.

(7) البوطي ،كبرى اليقينيات الكونية، ص 339.

(8) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتوأمور الآخرة، ص : 156.

(9) النازعات / 6-7.

(10) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 7، ص : 205.

(11) يس / 51.

(12) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص : 155.

(1) الراغب الأصفهاني . معجم مفردات ألفاظ القرآن .ص:50.

(2) يس / 51-53.

(3) الراغب الأصفهاني . معجم مفردات القرآن . ص. 118.117.

[ذلك يوم مجموع فيه الناس، وذلك يوم مشهود][4].

[قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم][5].

[يوم تشقق الأرض عنهم سراعا، ذلك حشر علينا يسير][6].

[ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحد][7].

[وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون][8].

[وإذا الوحوش حشرت][9].

وهاتان الآيتان الأخيرتان تفيدان أن البهائم كذلك تحشر يوم القيامة. يقول ابن تيمية : ((وإنما البهائم فجميعها يحشرها الله –سبحانه وتعالى– كما يدل عليه الكتاب والسنة. قال –تعالى– : **[وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون]**[10]. وقال –تعالى– **[ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير]**[11]، وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة[12].

ومما ورد في الأحاديث أن الله –عز وجل– يحشر البهائم يوم القيامة ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها كوني ترابا فتكون ترابا[13].

-صور من هول الموقف :

لقد أخبرتنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن هول الحشر الشيء الكثير، الذي تهتز له جلود الذين آمنوا، ومن ذلك قوله –تبارك وتعالى– : **[ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما، مأواهم جهنم، كلما خبت زدناهم سعيرا]**[1].

-[يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد][2].

-[فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه][3].

---

(4) هود / 103.

(5) الواقعة / 40.

(6) ق / 50.

(7) الكهف / 18.

(8) الأنعام / 38.

(9) التكوير / 5.

(10) الأنعام/38.

(11) الشورى/42.

(12) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج : 4، ص : 248.

(13) ابن تيمية، المصدر نفسه، ص : 248.

(1) الإسراء / 17.

(2) الحج / 1-2.

(3) عبس / 32-37.

ومما ورد في وصف المحشر في الحديث النبوي عن عائشة –رضي الله عنها– أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : **[يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا. فقالت عائشة –رضي الله عنها– ينظر بعضهم إلى بعض؟، قال : الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض]**[4].

ومما ورد في وصف هول هذا الموقف ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن الناس يعرقون في هذا اليوم، ويكونون في ذلك على قدر أعمالهم. فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعا وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم)[5].

وعن المقداد بن عمرو –رضي الله عنه– قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما)[6].

ومما يوحي لنا بهول هذا الموقف سؤال المؤمنين الله –عز وجل– تعجيل حسابهم، كما سيأتي معنا في حديث الشفاعة.

الحساب :

المراد به أن يوقف الله –عز وجل– عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وكل ما كانوا عليه في الحياة الدنيا من أقوال وأفعال، ويشمل هذا الحساب ما يقوله الله –عز وجل– لعباده وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين[1].

يقول –تبارك وتعالى– :

[وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون][2].

والحساب يدور على محتوى الكتب التي يعطاها كل إنسان ساعة القضاء، يقول –تبارك وتعالى– : **[فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا]**[3].

ويقول : **[فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابية، فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابية يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني مالية هلك عني سلطانية، خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون]**[4].

وهذا الكتاب من دقته لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها **[ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا]**[5].

وإلا جانب ما في ذلك الكتاب تشهد على الإنسان جوارحه فلا مجال للكذب أو الكتمان، يقول –عز وجل– **[يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم بما كانوا يعملون]**[6].

---

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

(5) أخرجه البخاري ومسلم..

(6) أخرجه مسلم والترمذي.

(1) عمر سليمان الأشقر، اليوم الآخر.القيامة الكبرى، ص : 193.

(2) الزمر / 69.

(3) الاشتقاق *7-12.

(4) الحاقة / 19-37.

(5) الكهف / 47.

(6) النور / 24.

ويقول –عز وجل– : **[اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون]**[7].

ويجري كل ذلك في جو رهيب لا يسمح فيه للظالم بالاعتذار وتعرض على الإنسان أعماله عرضا حيا، يقول –تعالى– : **[يومئذ يصدر الناس أشتاتا لبروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره]**[8].

وبعد هذا الحساب توضع الموازين.

فما هو الميزان؟.

الميزان :

من الأمور التي تحدث في اليوم الآخر وزن أفعال العباد، يقول القرطبي : ((وإذا انقضى الحساب كان بعده الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال ليكون الجزاء بحسبها))[1].

ومن النصوص القرآنية التي ورد فيها ذكر الميزان، قوله –تعالى– :

[ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا][2].

[والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون][3].

[فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية][4].

والميزان جمع موازين ((وهو الآلة التي تقدر بها الأشياء بوضعها في كفة بازاء صنجات مقدرة في كفة أخرى))[5].

وقد اختلف علماء المسلمين في كيفية الميزان الذي ذكر في الآيات القرآنية ، هل هو حقيقة أم مجاز؟.

فذهب جمهور العلماء إلى أنه على الحقيقة، يقول الأشعري : ((قال أهل الحق له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة))[6].

وقد أشار ابن العربي إلى هذا الاختلاف فقال : ((انفرد القرآن بذكر الميزان والوزن، وانفردت السنة بذكر الصراط والحوض، .. واختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال : إن الأعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان .. ومنهم من قال وهم المبتدعة : إنما يرجع الخبر عن الوزن إلى تعريف الله –سبحانه– العباد بمقادير أعمالهم))[7].

وذكر القرطبي أن مجاهد وقتادة والضحاك ذهبوا إلى أن الميزان مثل وليس ثم ميزان وإنما هو العدل [8].

وللمعتزلة في ذلك قولان : الأول : الوزن الحقيقي للأعمال، والثاني : أنه عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل[9].

---

(7) يس / 65.

(8) الزلزلة / 6-8.

(1) القرطبي، التذكرة، ص : 279.

(2) الأنبياء / 47.

(3) الأعراف / 8-9.

(4) القارعة / 6-9.

(5) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج : 2، ص : 847.

(6) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج : 2، ص : 104.

(7) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص : 59-66.

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج : 2، ص : 294.

(9) الزمخشري، الكشاف، ج : 2، ص : 89.

وعمدة الذين أولوا الميزان في ذلك : أن الأعمال أعراض والأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها. وقد روي عن ابن عباس أن الله –تعالى– يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة[10].

ورد القرطبي على القائلين بالتأويل : ((والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز. قال –تعالى– **[وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين]**[11] قال ابن عمر : توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله –تعالى– رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار ... ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق، وفي الصحيحين : فيعطى صحيفة حسناته(فيخرج له بطاقة) وذلك يدل على الميزان الحقيقي وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله توفيقنا))[1].

القول في الموزون :

اختلف في القول بالموزون على عدة أقوال :

–**الأول** : أن الأعمال هي التي تجسم وتوضع في الميزان. والدليل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : [كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم][2].

وعن أبي أمامة الباهلي قال : ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، إقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة][3].

–**الثاني** : أن صحائف الأعمال هي التي توزن.

ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم [إن الله –عز وجل– سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب، فيقول : ألك عذرا أو حسنة؟، قال : فبهت الرجل، فيقول : لا يا رب. فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فيقول : أحضروه فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول : إنك لا تظلم. قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال : فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال : ولا يثقل شيء مع : بسم الله الرحمن الرحيم))[4].

–**الثالث** :

أن الذي يوزن هو صاحب الأعمال.

---

(10) القرطبي، التذكرة، ص : 272–273.

(11) الانفطار / 10.11.

(1) القرطبي، التذكرة، ص : 282.

(2) أخرجه البخاري وكسلم.

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه.

والدليل على ذلك، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرأوا : **[فلا نقيم له يوم القيامة وزنا]**[5].))[6].

وروى أحمد عن علي –رضي الله عنه– أن ابن مسعود –رضي الله عنه– صعد شجرة، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد)[7].

وقد جمع الحافظ الحكمي بين النصوص ورأى أن العامل وعمله وصحفه كلها توزن، يقول : ((والذي استظهر من النصوص –والله أعلم– أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها ويدل لذلك ما رواه أحمد –رحمه الله تعالى– عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال : فيبعث به إلى النار، قال : فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن –عز وجل– يقول : (لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان))[1]. فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة))[2].

الصراط :

الصراط في اللغة : الطريق.

شرعا : يطلق على معنيين : أحدهما في الدنيا، وهو المنهج الذي شرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه والتزامه، وهو المعني بقوله –تعالى– : **[وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون]**[1].

والثاني في الآخرة : وهو الجسر الذي ينصب على نار جهنم يوم القيامة فيجتاز عليه الناس كلهم على اختلاف مذاهبهم وأحزابهم واتجاهاتهم، فالمؤمنون ينجون بحسب مالهم والآخرون يسقطون في نار جهنم[2].

واستدل مثبتوا الصراط على وجوده بقوله –عز وجل– : **[وإن منكم إلا واردها]**[3]، فأولوا ورود النار بعبور الصراط[4].

ومن الحديث النبوي استدلوا بقوله عليه الصلاة والسلم ((ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسول يومئذ : اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان، قالوا : بلى يا رسول الله، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم فنتهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد ألا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة أثار السجود..))[5].

---

(5) الكهف / 105.

(6) أخرجه البخاري.

(7) أخرجه أحمد في مسنده.

(1) أخرجه أحمد في مسنده.

(2) الحافظ الحكمي، معارج القبول، ج : 2، ص : 848-849.

(1) الأنعام / 152.

(2) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص : 353.وانظر : سعيد الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص : 368.

(3) مريم/72.

(4) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطخاوية، ص : 416.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة –رضي الله عنها– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف))[6].

وقد أنكر أكثر المعتزلة الصراط بناء على أن العبور عليه غير ممكن، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين، وقد رد عليهم بأن الله –تبارك وتعالى– بقدرته يمكن المؤمن من عبوره بسهولة، يقول الإمام الغزالي : ((وهذا ممكن فيجب التصديق به، فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء، قادر على أن يسير الإنسان على الصراط))[7].

الحكمة من الصراط وبيان أهواله :

إن التفكر في أهوال الصراط في يوم القيامة مدعاة للانضباط على الصراط المستقيم في الحياة الدنيا. ((إن هذا الصراط الذي يمر عليه الناس إنما هو تجسيد لمعنى الصراط الذي ألزم الله به عباده في الدنيا، فمن يضيق على نفسه سبل العيش والحياة حتى لا يخرج على صراط الله ومنهجه الذي أمر باتباعه، اتسع أمامه الصراط الممتد على متن جهنم، ومن وسع على نفسه سبل العيش والحياة في الدنيا، فتجاوز حدود الله وأحكامه، ضاق عليه ذاك الصراط غدا))[8].

الشفاعة :

من رحمة الله –عز وجل– بعباده أن جعل الشفاعة يوم القيامة، فهي فضل منه –سبحانه– تدخل تحت قاعدة [**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**][1].

والشفاعة لغة : الشفع ضد الوتر. يقال كان وترا فشفعه، والشافع : الشاة التي معها ولدها[2].

وشفع إذا سعى في الإرضاء ونحوه، إذ المغضوب عليه والمحروم يبعد عن واصله فيصير وترا، فإذا سعى الشفيع بجلب المنفعة والرضا فقد أعادهما شفعة[3].

شرعا : هي السؤال في التجاوز على الذنوب[4].

والشفاعة نوعان : شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

1–**الشفاعة المثبتة** : وهي مثبتة لمن أراد الله –عز وجل– تكريمه فيأذن له فيمن أراد –سبحانه– أن يعفو عنه كما تسند إلى الكبراء مناولة الهدايا إلى النبغاء في مواكب الامتحان.

أ–الشفاعة إلى الله في الموقف بتعجيل حساب الناس وهي الشفاعة العظمى. عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفع إليه الذراع –وكانت تعجبه– فنخس منها نهسة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يتحملون، فيقول الناس : ألا تنظرون إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة أن يسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا، فقال : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي،اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون

---

(6) أخرجه البخاري في مسنده.

(7) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج : 1، ص : 115. وانظر : الحويني، الإرشاد، ص : 379–380.
–التفتازاني، شرح العقائد ، ص : 168.

(8) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص : 354.

(1) النساء / 48.

(2) الرازي، مختار الصحاح، ص : 222.

(3) أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص : 128.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج : 3، ص : 15.

: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى ما نحن فيه؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، ادهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني، فيقولون : يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال : "والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو ما بين مكة وبصرى))[1].

الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار. فعن أنس بن ملك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[2].

شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

الشفاعة في إدخال طائفة من المؤمنين الجنة بغير حساب. فعن ابن عباس –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عرضت علي الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال : لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا بسواد كثير، قال : هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم، ولا عذاب. قلت : ولم؟ قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم، قال : اللهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر، قال : ادع الله أن يجعلني منهم، قال : سبقك بها عكاشة)[3].

الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة.

شفاعة الأنبياء والصالحين والقرآن والصيام.

فقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد أن هناك من يشفع غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول –سبحانه وتعالى– **[يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن الرحمن ورضي له قولا]**[4].

وقد بينت السنة النبوية أصنافا ممن يشفعون يوم القيامة، فعن عثمان بن عفان –رضي الله عنه– قال : (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)[5].

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه الترمذي وأبو داوود.

(3) أخرجه البخاري.

(4) طه / 109.

(5) رواه ابن ماجه.

وعن شفاعة القرآن والصيام، يقول صلى الله عليه وسلم (القرآن والصيام يشفعان للإنسان يوم القيامة، يقول الصيام أي ربي منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال : فيشفعان)[6].

الشفاعة المنفية :

شفاعة الأصنام التي كان يدعيها العرب في الجاهلية.

يقول –تبارك وتعالى- **[قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير، ولا ينفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له]**[7].

الشفاعة في الكفار. يقول –سبحانه وتعالى- **[فما تنفعهم شفاعة الشافعين]**[8].

الشفاعة بدون إذنه ورضاه. يقول –تبارك وتعالى- **[من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه]**[1] ويقول : **[يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا]**[2]. ويقول –عز وجل- : **[ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له]**[3].

الجنة والنار :

بعد تلك الرحلة من خوف الحساب وعرض الأعمال واجتياز الصراط، تأتي المرحلة الأخيرة، مرحلة الجزاء النهائي، إما الجنة أو النار.

لقد ساقت إلينا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حقيقة كل من الجنة والنار، فالجنة نعيم العابدين الساجدين الراكعين المطيعين لله –عز وجل-. والنار عاقبة المسيئين المستكبرين عن عبادته –سبحانه وتعالى-.

ومن الأمور التي يجب أن نعتقدها اعتقادا جازما :

أولا : أن نعيم الجنة وعذاب النار للروح والجسد معا، وقد وصف القرآن الكريم الجنة بأوصاف حسية مادية، إذ فيها السرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والولدان المخلدون والحور العين، وأنهار العسل واللبن والخمر، وكلها أوصاف حسية مادية، يقول –تعالى- : **[على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون....]**[4].

ويقول –عز وجل- **[وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة]**[5].

ويوجد الكثيرمن مثل هذه الآيات في الوصف الدقيق لنعيم الجنة المادي.

---

(6) أخرجه أحمد في مسنده.

(7) سبأ / 22-23.

(8) المدثر / 48.

(1) البقرة / 254.

(2) طه / 255.

(3) سبأ / 23.

(4) الواقعة / 15-24.

(5) الغاشية / 8-16.

أما في وصف عذاب النار المادي فيقول –عز وجل– : **[وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين..]** [6]. ويقول –تعالى– : **[وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نارا حامية، تسقى من عين آنية، ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا تغني من جوع]**[7].

ثانيا : خلود كل من في الجنة والنار :

اتفق جميع علماء المسلمين على أنه لا فناء للجنة ونعيمها، ولا للنار وعذابها.

وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية كثير في إثبات خلود الجنة والنار :

فمن القرآن الكريم : يقول –عز وجل– : **[وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها، ولهم فيها أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون]**[8].

ويقول –سبحانه وتعالى– : **[قال الله هدا يوم ينفع الصادقين صدقهم، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك الفوز العظيم]**[9].

ويقول أيضا : **[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه]**[1].

وفي خلود النار وأهلها، يقول –عز وجل– :

[فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، إلا ما شاء ربك، إن ربك فعال لما يريد][2].

[إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية][3].

ومن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في خلود أهل الجنة وأهل النار، قوله : (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت، ويا أهل الجنة لا موت خلود)[4].

وشذ عن إجماع علماء المسلمين في القول بخلود الجنة والنار وأهلها أبو الهذيل العلاف من المعتزلة، والجهم من صفوان[5].

وعن شذوذ رأي أبي هذيل العلاف، يقول البغدادي : ((زعم أن نعيم الجنة وعذاب أهل النار يفنيان، ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شيء، ولا يقدر الله –عز وجل– في تلك الحال على إحياء ميت، ولا على إماتة حي، ولا على تحريك ساكن، ولا على تسكين متحرك، ولا على إحداث شيء، ولا إفناء شيء مع صحة عقول الأحياء في ذلك الوقت))[6]،

ثالثا : أن الجنة والنار مخلوقتان .

---

(6) الواقعة / 41-45.

(7) الغاشية / 2-7.

(8) البقرة / 25.

(9) المائدة / 119.

(1) البينة / 7-8.

(2) هود / 106-107.

(3) البينة / 6.

(4) أخرجه البخاري.

(5) ابن حزم، الفصل، ج : 4، ص : 69-70.وانظر : التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص : 170.

(6) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 102-103.

ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وخالفهم أكثر المعتزلة والخوارج في ذلك وقالوا إنما يخلقان يوم الجزاء[8].

واستدل أهل السنة على ثبوت ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فمن القرآن قوله –تبارك وتعالى– **[وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين]**[9].

وقوله –عز وجل– **[سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم]**[10].

ويقول –سبحانه وتعال– **[واتقوا النار التي أعدت للكافرين]**[12].

ووجه دلالة هذه الآيات على وجود الجنة والنار، أن القرآن الكريم عبر بلفظ (أعدت) الذي يفيد الماضي، وهو صريح في وجودهما الآن[13].

ويقول –تبارك وتعالى– **[ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى]**[1].

فقد ثبت من حديثه صلى الله عليه وسلم أنه رأى سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى حين أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، يقول صلى الله عليه وسلم (وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا، قالوا : وما رأيت يا رسول الله؟ قال : رأيت الجنة والنار)[2].

وقال صلى الله عليه وسلم : (إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط)[3].

رابعا : في أن أفضل الجزاء في الجنة رؤية الله عز وجل.

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الجنة : (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[4].

وإذا كان أفضل جزاء للإنسان يوم القيامة هو الخلود في الجنة، فإن أفضل ما يحققه الإنسان في الجنة رؤية الله –عز وجل–.

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن أناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى الله يوم القيامة؟ قال : (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا : لا، قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما لا تضارون في رؤيتهما)[5].

وعن جرير بن عبد الله ، قال : (كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال : (إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)[6].

وعن صهيب بن سنان عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله –تعالى– تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فما يعطون شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم)[7].

---

(8) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص : 108-109. وانظر : الإيجي، المواقف، ص : 375.

(9) آل عمران / 133.134.

(10) الحديد / 21.

(12) آل عمران / 131.

(13) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص : 420-421. وانظر : الإيجي، المواقف، ص : 375.

(1) النجم / 13-15.

(2) أخرجه النسائي.

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه البخاري.

(5) أخرجه البخاري ومسلم.

(6) أخرجه البخاري ومسلم.

(7) أخرجه مسلم.

إن البشارة برؤية الله –عز وجل- تجعل الإنسان المؤمن أكثر إقبالا على صالحات الأعمال، حتى يتسنى له الفوز بهذا الأجر العظيم الذي يعتبر من أعظم مظاهر تكريم الله –عز وجل- للإنسان المؤمن .

الركن السادس/ الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة، وهو الركن السادس للإيمان فمن كفر بقدر الله خرج من دين الله عز وجل وقد تقدم دليل الإيمان بالقدر في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال- عندما سأله جبريل عن الإيمان- قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم.

1)- تعريف القضاء والقدر:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئا واحدا، ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر، فقال:

أ- القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

ب- والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

وعلى العموم فالقدر بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر، يتضمن أربعة أمور:

الأمر الأول/ العلم: أي الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبدا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الأمر الثاني: الكتابة: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج/70).

وفي صحيح مسلم- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

الأمر الثالث: المشيئة: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أو مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص/68)، وقال: ﴿ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (إبراهيم/27).

- وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ (النساء/90)، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام/112).

الأمر الرابع: الخلق: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة الزمر/62). وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان/2).

وقال عن نبي الله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات/96).

2) مشيئة الإنسان: والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

- دلالة الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ (النبأ/39)، وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن/16)، وقال: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة/286).

- دلالة الواقع:

فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير/28، 29).

ولأن الكون كله لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

3- بطلان الاحتجاج بالقدر:

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه: – الوجه الأول: هذا وقد أراد المشركون أن يحتجوا بقدر الله ومشيئته على شركهم، وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله عز وجل: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام/148).

فهذا هو جواب رب العزة لمن يحتج بقدره سبحانه على معصيته، ولله الحجة البالغة. ويقوم هذا الجواب على أمرين بديهيين لا مراء ولا جدال فيهما:

– **أولهما:** لو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه، وأنزل بهم عقابه. فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والآثام والكفر والشرك، لما عذبهم الله، لأنه عادل لا يظلم أحدا.

والذي يحتج بقدر الله على الكفر والمعصية، هو واحد من اثنين:

فإما أن يكون مؤمنا بوجود الله، وإما أن يكون منكرا.

فإذا كان الأول لزمه الاعتقاد بعدل الله وتنزهه عن الظلم، لأن الظلم نقص لا يليق بالخالق، والله سبحانه لا يعتريه نقص بحال من الأحوال. ولاشك أن عقاب المكره على الفعل ظلم، والاحتجاج بقدر الله على معصيته، مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة، فيه نسبة الظلم إليه، وهو أمر يتنافى مع الإيمان بالله عز وجل.

وإن كان المحتج بالقدر منكرا لله فإن احتجاجه بالقدر تناقض ومماحكة لا يستحق الجواب.

– **وثانيهما:** أن المحتج بالقدر على كفره ومعصيته متقول على الله بغير علم، إذ كيف يصح للكافر أو العاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه، وقدر الله قبل وقوعه غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل، مع أنه مخاطب قبل إقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره وبعبارة أقرب: كيف يصح لرجل أن يقول: كتب علي ربي أن أسرق فأنا ذاهب لتنفيذ قدره؟ فهل اطلع على اللوح المحفوظ، فقرأ ما فيه، حتى يعلم ما كتب عليه، في وقت كان مخاطبات بالامتناع عن معصية الله بالسرقة وغيرها؟

وبمثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه على هؤلاء المتذرعين بقدر الله في مواضع أخرى من القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا، قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء، أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف/28).

والواقع أن هذا الأسلوب القرآني في الرد على أمثال هؤلاء جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر، ويبين لهم أن المطلوب منهم هو تنفيذ أوامره سبحانه، واجتناب نواهيه، وليس المطلوب أن يبحثوا عن غيبه المستور ليكيفوا أنفسهم على حسبه.

هذا هو الفصل في هذه القضية: أن الله لا يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه، إنما يكلفهم أن يعلموا أوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها.. وهم حين يحاولون هذا يقرر الله سبحانه أنه يهديهم إليه، ويشرح صدورهم للإسلام.. وهذا حسبهم في القضية، التي تبدو عندئذ، في واقعها العملي، يسيرة واضحة، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته. إن الله قادر لو شاء على أن يخلق بني آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف إلا الهدى أو يقهرهم على الهدى، أو يقذف بالهدى في قلوبهم، فيهتدوا بلا قهر.. ولكنه سبحانه شاء أن يبتلي بني آدم بالقدرة على الاتجاه إلى الهدى أو الضلال، ليعين من يتجه منهم إلى الهدى على الهدى، وليمد من يتجه منهم إلى الضلال في غيه وفي عميانه.. وجرت سنته بما شاء..

فالقضية واضحة، مصوغة في أيسر صورة يدركها الإدراك البشري، وأما المجادلة فيها، فهي غريبة على الحس الإسلامي، وعلى المنهج الإسلامي... ولم ينته الجدل فيها في أية فلسفة أو أي لاهوت إلى نتيجة مريحة، لأنه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها.

وبعد فقد جاء هذا الدين ليحقق واقعا عمليا، تحدده أوامر ونواه واضحة، فالإحالة إلى المشيئة الغيبية دخول في متاهة، يرتادها العقل بغير دليل، ومضيعة للجهد الذي ينبغي أن ينفق في العمل الإيجابي الواقعي، لأن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه، وإليك المثال الآتي على بطلان الاحتجاج بالقدر:

.. لو أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته.

فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

.. ويذكر أن- أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلا يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله، فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.